رغم الحجر،
أكثر من 250 تحركاً
احتجاجياً في أفريل

التحرير
سياسية اخبارية جامعة
إعلام هادف يلتزم بقضايا الأمة
ISSN 2382-2643

الإعلام الخاص مدين
ب 17 مليون دينار
للإرسال الإذاعي

الاحد 24 رمضان 1441هـ الموافق لـ 17 ماي 2020 م العدد 292 الثمن 700م

12 ماي بين سنتي 1881 و 2020..

حماس والأزهر يبتعدان بعقول الناس عن الحل الحقيقي والوحيد

علمـــاء الزّيتونة والسيـــاســـة...

كلمة العدد

12 ماي بين سنتي 1881 و 2020

تاريخ الشعوب والأمم، وحاضرها ومستقبلها، لا تتحكم فيه الظواهر الفلكية ولا قوانين الفيزياء: تطبيقية كانت، أم تجريبية، أم نظرية، وانما تخطه مواقف الرجال، وتحبره العلاقات وتؤثر فيه الغايات وسلم الأولويات التي يرتبها الفاعلون، وتحوي كل ذلك السياسة وزواريبها. ويحسم الأمور في الأخير وعي الشعوب. ولماهية ذاك الوعي الدور الرئيس في دعم علو همة القيادة أو فتح الباب لخيانتها وذلك بالسكوت عما تجترئه من أسباب السقوط في وهدة الخنوع والخضوع والبقاء على هامش التاريخ.

تقترن ذكرى 12 ماي 1881 تاريخ إمضاء حاكم تونس يومها الباي محمد الصادق لوثيقة الاستسلام لسلطة المستعمر الفرنسي الكافر بالحوار الذي أجرته قناة فرانس 24 مع رئيس حكومة سلطة انتخابات صائفة 2019. هذا الحوار رتب لإشباع غرور فرنسي غبي، وهما منهم أن بلدهم ودولتهم لا زال لها اعتبار ووزن في الحياة الدولية، وظلفت فيه الدوائر السياسية الفرنسية والإعلامية الانهيار الفكري والسياسي الذي تتصف به الأوساط الحاكمة في تونس لإشباع غرورهم ذاك.

إلا أن السؤال الذي يثيره هذا الحوار الذي أجراه رئيس الحكومة هذا مع القناة المذكورة وبإدارة أحد الإعلاميين التونسيين، هو هل تغيرت عقلية حكام تونس اليوم عن نظرائهم الذين أمضوا على وثيقة باردو الخيانية؟ وذلك لتشابه الظروف الموضوعية التي حفت بإمضاء تلك المعاهدة وتصرفات حكام اليوم، من حيث وقوعهم تحت سطوة التدخل الأجنبي بتبنيهم لفكره وتصوره عن الحياة، واتباعهم سننه حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، حتى باتت سياسة الاقتراض من الدوائر الاستعمارية، ورضا المستعمرين عنهم، شهادة فلاح يفخرون بها. فساسة اليوم لم يعضهم التاريخ، حيث أن تونس لم تقترض من الخارج، مطلقا قبل سنة 1863. بل إن تونس، الولاية في دولة الخلافة، لم تكن مدينة لأي جهة، داخلية كانت أم خارجية إلى حدود سنة 1837. وأن 18 سنه (1863 ـ 1881)من سياسة الاقتراض ونهب المال العام، كانت كافية لتسليم البلاد إلى الأعداء.

12 ماي 1881 كان الفريق الفرنسي الذي أدار فصول الصراع السياسي والعسكري، والذي فرض شروطه على باي تونس، تحت إشراف غرفة العمليات المنتصبة بوزارة الحرب الفرنسية في باريس وهي التي كانت تعدل فصول الخطة، بحرفية، وحسب ما تقتضيه التطورات الميدانية من أجل الوصول إلى احتلال البلاد وحمل الباي على الاستسلام، ضمن خطة عامة للقوى الأوروبية رسمها فكر نشأ «في أحضان» مؤتمري ويستفاليا سنة 1648 وفيينا 1815 للهيمنة على العالم، والإسلامي منه خاصة، فكان دعم القوات البحرية لدول أوروبية كبرى، تأكيدا لذلك، إذ شاركت في غزو بلادنا واحتلاله ومساندة لفرنسا كل من الباخرة البريطانية «مرنارش» والايطالية «ماريا بيزا» والاسبانية «ساراغوزا» والبرتغالية «فاسكو دي غاما» بعد أن قررت القوى الأوروبية أن تكون تونس من نصيب فرنسا.

12 ماي 1881 كان الفريق التونسي، المقابل لخصمه الفرنسي، في وضعية انهزامية، انفعالية، لا يقوده عقل ولا تضبطه استراتيجية مرسومة، بل اختزل المشهد قول الباي، بعد إمضائه لوثيقة استسلامه: «لم تبق فائدة في المقاومة لقد شغلتنا أهواؤنا عن الاهتمام بأيّ شيء سواها» فريق يقوده باي لفه الجبن والخوف والجزع، أمضى حفاظا على «شرف» لم يذرف عليه دمعا، وهل بقي من شرف لحاكم تستباح بلاده ويقتحم عليه العدو سدة حكمه متعللا باجتناب اهراق الدماء، وقد أحيط ببطانة سوء ألهته عن الحكم الشرعي بوجوب دفع العدو الصائل، وهو يعلم علم اليقين إذكاء شعلة الجهاد ضد الغزاة كفيل باستنفار المسلمين المتحفزين للقيام بواجبهم والمنتظرين لإشارة القيادة، وهو يدرك أن تحوله من تونس إلى القيروان كفيل بحشد الرجال وراءه، والدفاع عن البلاد والتصدي للأعداء، إلا أن الهمة الواهنة قعدت به وأذكى ذلك فيه حاشية من الخونة على رأسهم وزيره الأكبر مصطفى بن إسماعيل الذي رتب سرا مع العدو خيوط الخيانة، رغم معارضة بعض المخلصين كمحمد الدلاجي شيخ المدينة وأحمد ابن الخوجة شيخ الإسلام، ومحاولاتهم اليائسة لدفعه أن يكون رجلا.

إلا أن عقدة المسرحية الكبرى كانت تهديد الباي محمد الصادق من قبل الجنرالات الفرنسيين الغازين أنه في حال رفضه إمضاء وثيقة الاستسلام وتسليم البلاد للغزاة، بأنه سيعزل وسينصب بدلا منه، أخاه « الطيب باي » القابع بقصره بالمرسى في استعداد كامل لخدمة العدو الكافر وتسليمه البلاد لو أصر الباي على عدم الإمضاء.

12 ماي 2020 لم يتغير المشهد على مستوى القيادة وكامل الوسط السياسي:

ـ قبول بالتدخل الأجنبي في شؤون البلاد، سفراء وقناصل الدول الأوروبية، ورجال المال والأعمال الأجانب، وفرضهم الامتيازات التجارية والجبائية.

ـ ظهور فكرة الانفصال عن دولة الخلافة بدفع وتزكية من هذه القوى الاستعمارية الكافرة، منذ أوائل القرن التاسع عشر، توازيها اليوم سياسة محاربة الدعوة للخلافة واستئناف الحياة الإسلامية.

ـ فرض فكرة عهد الأمان، وبداية الانحراف عن التقيد بالحكم الشرعي، التي وضعت أساسا كقاعدة فكرية تقوم على بنودها شرعية التدخل الأجنبي، ثم قُنن الوضع بإصدار دستور 1861، الأب الشرعي لوثيقة باردو ماي 1881. وهو الامتداد السياسي الذي لا يزال يسيطر على الحياة السياسية التي تحكم العلاقات القائمة اليوم. بعد دستور، «التأسيسي»، أصبح الحديث عن ظروف صدوره، مضيعة للوقت، بل يكفي التذكير بالضغوط التي مارسها صندوق النقد الدولي للتعجيل بالموافقة على دستور «الثورة»، وسفر باي تونس، سنة 1860، إلى الجزائر المحتلة ليطلع إمبراطور فرنسا «نابوليون الثالث» على نسخة الدستور المزمع إصداره.

ـ في الكومسيون المالي وصندوق النقد الدولي من جهة، ومصطفى خزندار ونظراؤه اليوم من جهة أخرى، غنى عن شرح خطر وجرم السياسة الاقتصادية والمالية المتبعة اليوم.

إذا كان رئيس الحكومة يخاطب الناس في يوم ذكرى إمضاء بلده وثيقة الاستسلام من خلال منبر إعلامي للدولة المستعمرة ولا يرى في ذلك أي ضير، فأي معنى للتاريخ وأحداثه؟ وأي دروس مستفادة من خيبات الماضي؟ إلى أين يسوق حكام اليوم، البلاد؟ وهل هم مدركون للخطر المحدق بها، في ضوء تصرفات وخيانات وهزائم من سبقوهم ممن حكموها البارحة؟

إلا أن ظنهم أن الأمر قد استتب لأسيادهم الغربيين وأنهم في حرز من المحاسبة تحت هذه الحماية، فقد أعماهم جهلهم عن إدراك أن الأمة، اليوم، ليست كحالها أمس. قد لا يجانب المرء الصواب، القول بأن قراءة التاريخ قضية حياة أو موت للشعوب، فلنفتح أعين شبيبتنا على تاريخ أمتها والعلم الذي تعيش فيه.

« وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ» (23) ـ فصلت ـ

أ. عبد الرؤوف العامري

بيان صحفي

نظام الأزمات يستمر في غيّه ويبشر بالأسوأ

تعيش تونس اليوم في بحر من الأزمات، فما تنفك أزمةٌ حتى تظهر أخرى: جوع، وفقر، وحرمان، وتسلط، وفساد، ومديونية، ومصائب عظمى، وأمراضٌ فتاكة، سببتها الرأسمالية البشعة التي دمرت البلاد وقضت على العباد، وجعلت التغيير الجذري مطلبا شعبيا اقتضاه العقل والنقل.

بالمقابل يستمر حكامنا في تضليل الناس وايهامهم بأن التغيير قادم، حيث أكد رئيس الحكومة إلياس الفخفاخ في حوار خاص لقناة «فرانس 24» يوم الثلاثاء 12 أيار/مايو 2020، أن حكومته «جاءت من أجل تغيير النهج الخاطئ الذي تسلكه البلاد»، وأن هدفها «القضاء على الفقر وإنقاذ الاقتصاد وتغييره»، وأنها ستتوجه في شهر حزيران/يونيو إلى البرلمان لتقييم الوضع «وإعادة انطلاق الاقتصاد وانعاشه قبل الذهاب إلى الإصلاحات الكبرى»، دون أن يفوته التحذير من الوضع الاقتصادي الذي «سيكون أسوأ من ذي قبل بعد كورونا» حسب قوله.

وإنا لنتساءل هل التجاء رئيس الحكومة لسياسة الاقتراض من صندوق النقد والبنك الدوليين والاتحاد الأوروبي يعد تغييرا أم هو استمرار للنهج الخاطئ الذي أغرق البلاد في بحر لجي من الديون المتراكمة؟ وهل إنعاش الاقتصاد سيكون باقتطاع جزء من مال الأجراء وإعطائها للأغنياء، أم سيكون بضخ أوراق نقدية في السوق (تضخم) وسرقة مدخرات الناس؟ وهل الإصلاحات الكبرى ستشمل استرداد الثروات المنهوبة وبعث المشاريع الطموحة كالتصنيع والزراعات الإستراتيجية، أم هي استكمال ما تبقى من إملاءات صندوق النقد الدولي التي نفذ بعضها رئيس الحكومة السابق يوسف الشاهد؟ وهل ترشيحك لرئاسة الحكومة من طرف هذا الأخير ومَن خلفه من الدوائر الاستعمارية يندرج ضمن استكمال ما بدأه من تسليم ما تبقى من مقدرات البلاد للقوى الغربية؟

أيها الأهل في بلد الخضراء:

إن هذه الحكومة لا تملك أمرها، فهي لم تجرؤ على القول إن الأزمة هي في النظام الرأسمالي نفسه، وأن الواجب اجتثاثه من قواعده وأسسه، والبحث عن حل صحيح على أنقاضه، ما دام ترقيعه لا يجدي نفعاً، حيث اتسع الخرق على الراتق، ولكنها استمرت في التضليل مع تبشيركم بالأسوأ، وإن حزب التحرير يقدم لكم نظاما ينبثق من عقيدتكم الإسلامية، قادرا على توفير الحياة الاقتصادية العادلة الخالية من الأزمات في ظل خلافة راشدة على منهاج النبوة، وهو يجدد دعوته خاصة لأهل الفكر والرأي بأن يلتفتوا لهذا البديل الحضاري، بدل البحث عن تعديلات لما هو قائم!

قال تعالى: [وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ].

المكتب الإعلامي لحزب التحرير

في ولاية تونس

التضليل الممنهج في تونس

د. الأسعد العجيلي، رئيس المكتب الإعلامي لحزب التحرير، ولاية تونس

لقد أدى تمرد أهل الخضراء على الأوضاع التي فرضها الإستعمار منذ أن أحكم قبضته على بلادنا، إلى تصدع أركان الملك الجبري وسقوط أسواره وانكشاف عملائه وحراسه، وهو ما شكل فرصة ثمينة للتحرر الشامل، خاصة بعد الأعمال الفكرية والسياسية الضخمة التي خاضها المخلصون من أبنائنا ضد المنظومة الغربية على مدار سنين طويلة، حتى أضحى التغيير مطلبا شعبيا يقره العقل والنقل.

وفي المقابل يحرص الغرب وأدواته المحلية على اعتماد التضليل حتى لا تسلك الأمة الطريق الصحيح الذي يؤدي إلى التغيير الحقيقي المبني على عقيدتها الإسلامية، ومن أخطر الوسائل والأساليب التي استخدمها الغرب وعملاؤه للتمديد في عمر منظومته الحضارية والتشريعية هو أسلوب التضليل، أي تغييبُ الحقيقة وطمسُها حتى ينشغل الناس عنها بأمور مزيّفةٍ كاذبة، يتم إظهارها على أنها هي الحقيقة، فلا توجه نحوه السهام والأعمال والجهود؛ فيبقى متربعا على عرشه ينظر إلى حركة الأمة، وهي تدور في دوامة لا تخرج منها، حيث يُظهر لها طريقا يختلف عن الطريق الصحيح، وكلما أدركت أن هذا الطريق مظلم أدخلها في نفق مظلم آخر، لا يقل خطورة عن الأول باغيا من خلال التضليل أن يحافظ على منظومته، وأن تصاب الأمة باليأس والقنوط.

تغيير أشخاص الحكم وليس النظام

فقد أوهم الغرب الثائرين المطالبين بالتغيير بأن المشاركة في الانتخابات هو السبيل الوحيد لذلك، فانخرطت الأمة في عملية انتخابية تلو الأخرى دون أن يحدث التغيير المنشود حتى وصلت الأمة إلى قناعة من أن الانتخابات لم تكن سوى مسرحية أخرجها الغرب ضمن إطار حضارته حتى لا تخرج الأمور عن سيطرته، فرئيس الحكومة إلياس الفخفاخ تربع على كرسي القصبة بالرغم من حصوله على صفر مضاعف في الانتخابات الأخيرة وقد كشف عن سر ذلك يوم تنصيبه عندما قال بأنه تعرض إلى مساءلة (entretien d'embauche) من طرف سفيرة بريطانيا قبل تكليفه من رئاسة الجمهورية.

صراع الصلاحيات الوهمية

وعندما فقد الناس الثقة في الإنتخابات بدأ الرئيس قيس سعيد يتحدث عن سحب الوكالة ممن خان الأمانة ويقصد بذلك النواب، وأصبح يفرق بين الشرعية البرلمانية والمشروعية الشعبية، ليشغل الناس بصراعات بين أشخاص الحكم أو بالأحرى بين الرئاسات الثلاث حول الصلاحيات، وكأن البلاد مستقلة القرار، في الوقت الذي لا يجرؤ أي منهم على لجم السفراء الأجانب الذين انتهكوا سيادة البلاد، فهو بدل أن يوجه سهام الناس نحو الدوائر الإستعمارية ومنظومتها العلمانية البائسة التي جلبت الشقاء للناس ويدفعهم للالتفاف حول المشروع الحضاري الإسلامي باعتباره الحل الوحيد لما تعانيه الأمة من فقر وفساد ونهب واستضعاف وفرقة... بدل ذلك يشغلهم بصراع لن يغير من الوضع السياسي الراهن سوى في الوسائل والأساليب أما المنظومة فستبقى كما هي، فضلا عن السيطرة الغربية.

محاربة الفساد

كما سعت الأوساط السياسية المرتهنة للدوائر الإستعمارية إلى تضليل الناس وإيهامهم بالتغيير، من خلال إشغالهم عن فساد النظام بفساد القائمين عليه، وذلك بمحاربة الفساد المالي بمختلف مستوياته، ابتداءً من سرقة الأموال العامة على أيدي كبار المسئولين في الدولة ورؤوس المال الفاسدين، مروراً بالرشاوى، وانتهاءً بالمحسوبية وتفشي البيروقراطية في أجهزة الدولة.

ورغم أن الفساد ازداد تفشيا في ظل حكومات ما بعد الثورة من خلال تشابك مصالح لوبيات المال والإعلام وسماسرة الحكم وبعض الأحزاب والسياسيين، ما زالت المنابر الإعلامية تحاول التعمية عن الحقيقة: وهي أن موطن الداء وسبب البلاء يكمن في النفوذ الأجنبي ومنظومته الحضارية الرأسمالية التي يتحكم من خلالها في البلاد، فيصنع العملاء والفاسدين ويرعاهم ويسخر لهم الإعلام الفاسد ويحميهم بقوانين ومراسيم، ويفرضهم على الناس بقوة الجند وبضغط مؤسساته المالية، منظومة متكاملة من الفساد والإفساد والنهب، يتحكم الغرب والسفراء الأجانب بخيوطها وأدواتها، وكلما نجح الناس في إزاحة عميل استبدله الغرب بمن هو أسوأ منه، ومن الخطأ الانشغال بذنب الأفعى وترك الرأس ينفث سمه في جسد الأمة.

الإيهام بالتغيير

ومن التضليل ما يحاول رئيس الحكومة إيهام الناس بأن التغيير قادم، حيث أكد في حوار خاص لقناة "فرانس 24" يوم الثلاثاء 12 ماي 2020، من أن حكومته "جاءت من أجل تغيير النهج الخاطئ الذي تسلكه البلاد" وأن هدفها "القضاء على الفقر وإنقاذ الإقتصاد وتغييره"، ولكنه يستمر في سياسة الإقتراض التي أغرقت البلاد في بحر لجي من الديون المتراكمة ورهنت اقتصاد البلاد بيد المؤسسات المالية والاتحاد الأوروبي، فيبدأ حكمه بقرض بقيمة 745 مليون دولار من صندوق النقد الدولي الذي كان هو من فتح لهم أبواب الإقتصاد التونسي عبر رسالة النوايا الأولى التي أرسلها للصندوق عندما كان وزيرا للمالية أيام حكم الترويكا. فهذه الحكومة لا تجرؤ على قول الحقيقة للناس بأن الأزمة في النظام الرأسمالي نفسه، وإن الواجب اجتثاثه من قواعده وأسسه، والبحث عن حل صحيح على أنقاضه، لأن ترقيعه لا يجدي نفعاً، حيث اتسع الخرق على الراقع، ولكنها استمرت في التضليل مع تبشيرهم بالأسوأ.

غلق المساجد بدعوى حفظ النفس

ومن التضليل الذي استخدمته الحكومة: الايهام بأن غلق المساجد كان بناء على أن حفظ النفس مقدم على حفظ الدين، وأن رئيس الحكومة غلق المساجد خوفا على أهل تونس من انتقال العدوى وفتك الفيروس، إلا أن الإسراع في غلق المساجد ومنع صلاة الجمعة والجماعة والحزم في ذلك في الوقت الذي لم تنقطع التجمعات أمام البريد والبنوك والمعتمديات والأسواق ومراكز بيع الخمور، كل ذلك يؤكد بشكل لا لبس فيه أن الحرص على غلق المساجد لم يكن خوفا من عدوى الوباء. كما أن إجراءات الحجر الصحي الموجه والسماح التدريجي للنشاط والتجمع شملت إلى حد الآن معظم القطاعات بما فيها المساحات التجارية الكبرى ولكن استبعدت من هذه الإجراءات المساجد، وهو ما يؤكد التضليل الممنهج الذي تتبعه الحكومة.

خاتمة

إن الناظر المدقق في هذه الوسائل والأساليب الخبيثة يرى أنها أوهى من بيت العنكبوت، ولا يمكن أن تنطلي على المؤمنين الواعين، وإن مواجهة عمليات التضليل يكون بإيجاد الوعي عند جماهير المسلمين في تونس للتصدّي والوقوف في وجه ضلالات وألاعيب الاستعمار وأدواته المحلية، والله سبحانه وتعالى يؤيد بقوته وتدبيره المسلمين المخلصين ضد هذه الأساليب والوسائل الخبيثة، وتكفّل بكشف الباطل وإزهاقه مهما علا وارتفع.

قال تعالى: (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) الأنبياء/18

الثروة المائية في تونس , يمنّ بها مسؤولوا تونس وهي نعمة من اللّه !!!

محمد السحباني

يوم 12/05/2020 صرح أسامة الخريجي وزير الفلاحة والصيد البحري والموارد المائية بتونس لإذاعة ديوان أف أم أن "سعر بيع الماء في تونس من أرخص الأسعار في العالم" وأشار إلى أن عدم تفعيل الزيادة في التعريفة من قبل الحكومات السابقة فاقم من عجز الشركة الوطنية لاستغلال و توزيع المياه".

الحكومات بريئة والناس في محل التهمة

الحلول العقيمة هي ديدن الحكومات الفاشلة فهي تمعن في الهرب إلى الأمام بإثقال كاهل الناس بالزيادات الجنونية في الحاجات الأساسية من أجل ترقيع منظومة مهترئة، فالسياسية التي تنتهجها الحكومة في تونس منتهية الصلاحيّة أصلا، يتحمل وزرها الناس من قوتهم وقوت أبنائهم, فلو نزلت إلى الشارع لوجدت رأيا كاسحا ينبئك أن أقصى أحلام الناس هو القدرة على خلاص فواتير استهلاك الكهرباء والماء.

وفي المقابل يتنصل المسؤولون من المساءلة والمسؤولية, فالحكومة الحالية ترمي بثقلها على حكومة يوسف الشاهد وحكومة يوسف الشاهد تتملص وتزعم أن هذه المشاكل هي إرث ثقيل من حكومة الترويكا والترويكا بدورها تبرر عجزها بأنها تسلمت تركة الحقبة النوفمبرية الاستبدادية, وكان بن علي يرمي التهمة إلى العهد البورقيبي المقيت الذي لم يع معنى التغيير. وبورقيبة كان يمنّ على النّاس زاعما أنه خلّصهم من بين براثن الاستعمار.

أهل البلد هم المتهم الوحيد ولا يحق للمتهم طبعا إلا أن يطأطئ الرّأس ويدفع ثمن خطيئته, ولا يحقّ له محاسبة الحكام ولا الأعوان ولا النظام.

إن عزم الحكومة الترفيع من سعر الماء يؤكد ظلمها للناس وبخاصة محدودي الإمكانيات الذين لا يقدرون على سداد فواتير الماء في وضعهم الحالي, فما بالك بالزيادة المقدرة في القريب العاجل. ولكن لا همّ للوزير إلا شركة الماء وإنقاذها من الخسارة.

إنّه "قانون الغاب والبقاء للأقوى". نابع أساسا من زاوية النظر الرأسمالية المناقضة للإسلام, التي تعتقد وتصرح على لسان سياسييها أن الإنسان الضعيف والعاجز عن جمع المال لا يحق له العيش؟ نعم, فمن عقائدهم الفاسدة أنّه "من لا يملك المال لا يملك الماء". هذا ما أسّس له مفكّروا الرأسماليّة كالاسكتلندي آدم سميث والبريطانيين جون كينيز وتوماس مالتوس والأمريكي ميلتون فريدمان وغيرهم.

كيف يقنع النظام الناس بصحة معالجاته الفاسدة

لأجل إقناع الناس بأن النظام بريء وحلوله ناجحة يتم استدراج الرأي العام إلى القبول بالحلول الرأسمالية المنبثقة عن أوامر صندوق النقد الدولي ومن ورائه أباطرة النظام الرأسمالي.

بدأ الوزير حجّته بأنّ سعر الماء في تونس من أرخص الأسعار في العالم, وهو يرى تبعا لذلك أنّه يجوز للدّولة الترفيع في سعره حتّى يبلغ السعر العالميّ. وهي "حجّة" واهية يكرّرها المسؤولون لجعل الناس تستغني عن حقّها في الماء طواعية ولا تحتج ولاتحاسب النظام والقائمين عليه, وهذا الاحتجاج يأتي ضمن خطوات ممنهجة, فالخطوة الأولى هي الإهمال حتّى ساءت جودة المياه الصالحة للشرب مما أدّى بالناس إلى التعويل على مصادر أخرى وهو ما حصل فعلا, ففي تونس مثلا يقتني الناس الماء الصالح للشراب أي المياه المعدنية وغيرها بأموالهم الخاصة. أمّا الخطوة الثانية فخطاب بائس يروّج للترفيع في تسعيرة الماء بهدف إذكاء الروح التضامنية حتى يصل الماء إلى المناطق الداخلية الفقيرة. ويستمر الأمر على هذا المنوال سنوات ضوئية من أجل سراب تحسين الجودة ولا تتحسّن الجودة والذّريعة أنّ شركة توزيع واستغلال المياه ما عادت قادرة بمعدّاتها القديمة, فيبدأ الحديث عن خوصصة المياه, حتى إذا ما تمّ خوصصة القطاع العمومي للمياه وهو الهدف النهائي من العملية برمتها, يكون الناس (في ظنّ حكّام السوء) قد اعتادوا غلاء الأسعار وصار الأمرواقعا سيتكيفون معه. والرابح الأكبر بالتأكيد في عملية التمويه السياسي هذه هو المستعمر الذي حقق هدفه بخصخصة الملكية العامّة وهو الصراط الذي حدده صندوق النقد الدولي, كما ينتفع أذنابه من الحكام النواطير بدرجة أقل حيث لم يعد احد من الناس يحاسبهم على عدم رعايتهم لشؤونهم فيما يتعلق بالماء وتوفيره مع ضمان الجلوس على الكرسي ولو لبعض الوقت.

معالجات التشريع الوضعي هي التي راكمت الأزمة

يزعم البعض أنّ مشكلة المياه في تونس تعود إلى غياب نص قانوني منظم لقطاع المياه ويقصد بذلك تحديدا القانون عدد16 لسنة 1975 المتعلق بإصدار مجلة المياه والذي أصبح في نظرهم لا يواكب تطورات الوضع العالمي. والحق أن أساس المشكل هو التشريع الوضعي المحليّ والعالمي. أبعد كل هذه السنوات من التقهقر بسبب نصّ بشري لا يستند في مشروعيته إلى عقيدة المسلمين وما يفرضه من حقوق لعباده ندعوا مرّة أخرى إلى قانون وضعيّ جديد؟ وماذا عن الآثار الكارثية التي تسبب فيها ذلك القانون حتى أصابنا الفقر المائي؟ ومن أين لكم أنّ التشريعات الوضعيّة الجديدة ستضمن العدل للنّاس؟؟؟

إنها حلقة جهنّميّة مفرغة. وبين هذا وذاك يسير الناس عطشى وتحنى ظهور المئات والآلاف من النساء بأواني الماء الذي يجلبونه من الأنهار والأودية في أرياف تونس, ولا خلاص لهم إلا بتشريع دائمي لا يتغير بالزمان ولا بالمكان ولا يتأثر بالأشخاص أيضا فهو تشريع غايته إشباع حاجيات الإنسان من هذه الثروة المائية.

البنية التحتية...الفساد الفساد

شبكة المياه في دولة الحداثة والديمقراطية لا تستطيع تصريف أمطار "الخمس دقائق" فلا سدود تحويها (بسبب قلّة الصيانة) ولا قنوات تعزلها عن الاختلاط بمياه الصرف الصحي, شبكة تحتية مهترئة نتيجة الإستهتار والفساد المالي, فالصفقات العمومية تكون بحسب الولاء للنظام, أضف إليها استفحال ظاهرة الغش والرشوة, وخلف من بعدهم حكام نسجوا على نفس المنوال حتّى استفحلت الأزمة, وصارت مجالا للمزايدات السياسية والغنائم الحزبية. "مشروع بنية تحتية بكرسي في البرلمان أو مقعد في الحكومة".

المعالجات الصحيحة:

إن المعالجات الصحيحة, والأحكام العادلة لا توجد إلا في تشريع ربّانيّ من عند اللّه وما دونه ظلم كبير.

الماء في الإسلام قضيّة حيويّة واستراتيجيّة:

يقول اللّه سبحانه وتعالى: "وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ" فالماء ضروريّ لكلّ كائن حيّ ضروريّ للفرد وللجماعة, ولذلك جعله الإسلام من مرافق الجماعة وأدرجه ضمن الملكيّة العامّة لتمكين جميع الأفراد من الانتفاع به, قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: " النّاس شركاء في ثلاثة: الماء والكلأ والنّار" وقال صلّى اللّه عليه وسلّم: " لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلأ".

ولذلك فإنّ توفير الماء هو من مهامّ الدّولة وأولويّاتها, وليس الماء سلعة تفوّض بها شركة (ولو كانت شركة مملوكة للدّولة) لتتربّح منه, فالأصل أن تكون شركة المياه إدارة من إدارات الدّولة (لا شركة لموظّفيها امتيازات ولها محاسبات سنويّة وأرباح...) مهمّتها الأساسيّة أن يصل الماء لكلّ المحتاجين إليه بدءا بالأفراد والفلاحين والصناعيين, وأن تصونه من التلوّث والعبث والفوضى والاحتكارات. وتمنع بيع الماء أو إهداره (كما هو الحال في النّزل السياحيّة) حتّى يحصّل كلّ النّاس كفايتهم وحتّى يسقي الفلّاحون زرعهم وحتّى يكتفي الصناعيّون.. فإذا بقي من فضل فيُباح لمن عنده فضل أن يبيعه. أمّا حديث الوزير عن سعر الماء وأنّه الأرخص في العالم فحديث فيه من الأذى الكثير, فهذا الوزير يمنّ على النّاس منّا وكأنّه هو الذي يُوفّر الماء للنّاس,

أيّها الوزير الماء نعمة من ربّ العالمين ورحمة, تسعى أنت وحكومتك أن تجعلها محنة وسوط عذاب, فأطلقتم أيدي شركات المياه المعدنيّة حتّى استولت على ثروات النّاس ولم تحرّكوا ساكنا, وأهملتم السدود حتى تضاءلت قدرتها التخزينيّة, وقصّرتم في مسؤوليّاتكم فلم توفّروا للنّاس حتّى الماء الذي هو صنو الأكسيجين, ثمّ لا تستطيعون إلا الزيادة في الأسعار لترهقوا النّاس وتجعلوا حياتهم شقاء.

عن عائشة -رضى اللّه عنها- قالت: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول في بيتي هذا: اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به[1]، رواه مسلم.

الملكيّة العامّة ليست هي القطاع العموميّ، فالمفهومان متناقضان فوجب التنويه

أكثر من 250 تحركاً احتجاجياً في أفريل رغم الحجر

أ- ف

سجّلت تونس ارتفاعاً في منسوب الاحتجاجات بلغ أكثر من 250 تحركاً احتجاجياً الشهر الماضي، رغم منع التجمهر وحظر التجول وصرامة الرقابة الأمنية المفروضة من السلطات التونسية لمواجهة انتشار فيروس كورونا.

وأعلن المرصد الاجتماعي التابع للمنتدى التونسي الحقوق الاقتصادية والاجتماعية في تقريره لشهر أفريل الماضي حول الاحتجاجات الاجتماعية وحالات الانتحار والعنف، أن تونس سجلت 254 تحركاً احتجاجياً مع تغيّر في الخريطة، كما تم رصد 30 محاولة انتحار.

وتعلقت أغلب مطالب المحتجين، بالحق في الماء والغذاء بعد أن ساد العطش والجوع عددا من المناطق في أرياف محافظة القيروان وسط غرب البلاد، وفقدت بعض المواد الغذائية الأساسية بشكل لافت خلال فترة الحجر الصحي كالسميد والدقيق والطحين والزيت، مما دفع أهالي عدد من القرى للاحتجاج كما في الجوامعية والبراهمية والشرايطية والشراردة وعمر بوجلة.

وارتكزت أغلبية التحركات الاحتجاجية في الوسط الغربي للبلاد بـ133 تحركا وفي المحافظات الأقل حظاً من التنمية، واحتلت محافظة سيدي بوزيد الصدارة بـ75 تحركا، تليها محافظة القيروان بـ41 ثم سوسة بـ 24 والقصرين بـ17 وتطاوين بـ 14 وقفصة بـ 13 تحركا.

وتتوزع الاحتجاجات على القطاعات كالآتي، الصحة بـ 50 تحركا، الأمن 35، القطاع الخاص والمجال القانوني 18 تحركا، الحق في الماء بسبعة والبيئة والفلاحة بأربعة تحركات.

ونفذ أهالي منطقة "العين البيضاء" بمدينة حفوز التابعة لمحافظة القيروان تحركا احتجاجيا عبر غلق الطريق الوطنية للسيارات المحاذية لمقر البلدية، وذلك لعدم تمتيعهم بمنحة 200 دينار (حوالي 67 دولارا) المخصصة من الحكومة لمساعدة المحتاجين بسبب وباء كورونا، داعين إلى إحالة مطالبهم على مصالح وزارة الشؤون الاجتماعية للنظر فيها.

ونفّذ أصحاب سيارات التاكسي والنقل الريفي والنقل بين المدن وقفات احتجاجية في عدد من محافظات البلاد، لمطالبة الدولة بالتدخل لإنقاذهم.

ويشغل قطاع النقل غير المنتظم نحو 120 ألف شخص دون اعتبار العاملين بمدارس تعليم السياقة ومؤسسات كراء السيارات، حسب أرقام الجامعة التونسية للنقل.

وبيّن المحتجون أن السلطات أعلنت تأجيل أقساط شركات الإيجار المالي بالنسبة لسيارات الأجرة، في حين تمت إعادة جدولتها مع إضافة فوائد، وهو ما سيقود إلى إثقال كاهلهم في وقت تتباهى الحكومة بمساعدتهم لتخطي الصعوبات المالية بسبب توقف نشاطهم خلال فترة الحجر الصحي.

وفي السياق، نفذ عدد من عمال المؤسسات الصناعية بمحافظة زغوان وقفة احتجاجية أمام مقر المحافظة للمطالبة بضرورة إيجاد حل على خلفية الوضعية الاجتماعية التي يعيشونها وعدم حصولهم على رواتبهم منذ ثلاثة أشهر نظرا لتضرر المؤسسات التي يعملون فيها بسبب أزمة فيروس كورونا.

كما أقدم عدد من العاملين في الشركة الوطنية لاستغلال وتوزيع المياه على تنفيذ وقفة احتجاجية بمقر الشركة وسط مدينة سوسة، للتنديد بما وصفوه بجريمة القتل البشعة التي استهدفت زميلهم أثناء أدائه واجبه وتكرر الاعتداءات على العاملين في الشركة، خصوصا المكلفين بتنفيذ قرارات قطع المياه والفوترة بالشركة.

ويتواصل احتجاج عدد من أصحاب المقاهي والعمال في محافظة صفاقس، حيث نفذوا وقفة احتجاجية أمام مقر المحافظة للمطالبة بإعادة فتح المقاهي بعد طول غلقها مما أثر سلبا على وضعياتهم المالية والاجتماعية وعلى قدرتهم على الوفاء بالتزاماتهم المالية تجاه المقرضين.

وطالب العاملون في المقاهي بحقهم في منحة 200 دينار بدفعتيها الأولى والثانية، داعين أيضا إلى تيسير حصولهم على القروض بدون فوائد لأصحاب المقاهي.

وقال رمضان بن عمر المكلف بالإعلام في المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، إن التحركات الاحتجاجية تتعلق أساسا بتبعات وتداعيات وباء كورونا على الوضع الاجتماعي للتونسيين، مشيرا إلى أنها تتمحور حول النقص المسجل في المواد الغذائية الأساسية كالدقيق والزيت، إلى جانب تواصل انقطاع المياه الصالحة للشرب في العديد من المناطق الداخلية خصوصا في محافظة القيروان بما يجعل الجوع والعطش من أهم محركات الاحتجاجات الأخيرة.

وفي سياق متصل، سجل المرصد في تقريره للشهر الماضي 30 حالة انتحار ومحاولة انتحار، وأغلب الضحايا من الذكور بنسبة 87 بالمائة، إذ تمثل الفئة العمرية ما بين 26 و35 سنة وما بين 36 و45 سنة الأكثر إقداما على الانتحار ومحاولة الانتحار بنسبة تقدر بـ 66 بالمائة.

قيس سعيد شعبوية الخطاب والمنهج

مهران المي

في غياب الخطاب السياسي المقنع على مستوى العالم وعجز المنظومة السياسية القائمة عن تقديم إجابات مقنعة عن الأسئلة المطروحة في القضايا الكبرى التي تهم العقل والإنسان والاقتصاد وغيرها من القضايا الحارقة دوليا واقليميا ومحليا وحتى فرديا أصبح للخطاب الشعبوي مكانه في منظومة الحكم الحالية في أوروبا وأمريكا وفي عالمنا الإسلامي

شعبوية الخطاب قيس سعيّد نموذجا

قيس سعيد مثال واضح يمكن التدليل عليه بالنظر في خطابه وفي منهجه.فوصوله لقصر قرطاج ساهم فيه حديثه (السطحي)عن بعض القضايا التي تهم حياة الناس دون أن ينفذ إلى عمقها من حيث التقييم او تقديم المعالجة واقتصر خطابه على بعض الألفاظ والمدلولات فارغة المضمون ولكنها تلامس المشاعر وتدغدغ الاحاسيس على غرار الشعب يريد، وهو شعار حملته الانتخابيّة، استعمال هذا الشّعار يوهم بأن إرادة العامّة هي التي ستتحقق بإيصال صاحب هذا الطرح إلى الحكم باعتباره تعبيرة من تعبيرات إرادة الشعوب

كلمة خيانة عظمى التي استعملها قيس سعيد في علاقة بالتعامل مع كيان يهود رفع من شعبية الرجل وحرك في الناس مشاعر العزة وأثار قضية تعتبر من القضايا الأولى في عالمنا الإسلامي وجلب له التعاطف من الدّاخل والخارج. في حين انها كلمة لم تتجاوز الخطاب الشعبوي فلم تتحول إلى فعل سياسي جادّ، يزيل كيان يهود الغاصب أو على الأقلّ يطهّر البلاد من أصدقاء كيان يهود زما أكثرهم، ولعلّه من المضحكات المبكيات أنّ أوّل سفر لقيس سعيّد الرئيس كانت إلى سلطنة عمان لتقديم العزاء في سلطان استقبل "نتانياهو" جهرة وبكلّ وقاحة. نعم حزن عليه قيس سعيّد وسافر للعزاء، أليس هذا انفصام في الخطاب والفعل؟؟؟ لتتحوّل كلمة "خيانة عظمى" إلى مجرّد شقشقة لفظيّة لا معنى لها إلا تملّق الشّعب. وهذا هو المعنى الحقيقي للشعبويّة

أكثر قيس سعيد استعمال اسم الاخشيدي وكرره في أكثر من مناسبة، هو أحد الاستعمالات الخبيثة للخطاب الشعبوي بتركيز ألفاظ ومدلولات تظلّ ثابته في العقل الجمعي وتصبح مادّة للاستعمال والتندر اليومي وهو ما يسهّل ترسيخ شخصية الرجل وجعلها محفورة في الأذهان ومرتبطة بالاستعمال اليومي لهاته الالفاظ حتى وان لم تدرك الناس شخصية الاخشيدي وفعله مع المتنبي المهم هو إطلاق الكلمات والالفاظ لترتبط بقائلها وتطبع في العقول.

لم يتوقف خطاب سعيد الشعبوي بعد وصوله للرئاسة بل تواصل معه طيلة فترة حكمه وكل الخطابات التي توجه بها إلى الشعب تضمنت نفس العبارات الفضفاضة ذات المدلولات الغامضة والملتبسة ولكنّها محركة للمشاعر، وهذا يدل على المواصلة في نفس الاسلوب ولكن بغايات مختلفة فالأولى كانت للوصول إلى الحكم والثانية للمحافظة عليه وتصفية خصومه السياسيين.

شعبوية المنهج

القول ان نهج عمر بن الخطاب هو المنهج الذي يريد السير فيه لا يعدو ان يكون لعبا على نفس أوتار الخطاب وهو الحفر في النفسية المتشكلة عند الشعب المسلم لما لعمر بن الخطاب من رمزية عند الناس وارتباط اسم عمر بن الخطاب بالعدل والحق وهو ما يبحث عنه الناس جراء الظلم المسلط عليهم من منظومة الحكم الحالية

العدل الذي تحقق في عهد الفاروق لم يكن لأنّ عمر اتّبع آراء النّاس وحقّق لهم رغباتهم بل كانثمرة حسن تطبيقه النّظام الإسلامي ولو خالف رأي الأغلبيّة،وهذا ما يقع تغييبه بل مناقضته في خطاب قيس سعيد وهو أصل الموضوع.

فالعدل لا يحقّقه رأي الشعب أو الأغلبيّة بل العدل مرتبط أساسا بالنظرة للحياة وللعلاقات والقيم ومفهوم السعادة والقوانين والتشريعات الكلية والجزئيّة وهو ما لا يوجد إلّا في الإسلام العظيم، وكان يكفي عمر بن الخطاب أن يجتهد في تطبيقه ليضمن العدل وليفرق بين الحق والباطل ولو وجد سيدنا الفاروق بشخصيته تلك في منظومة حكم أخرى وحاشا لله ان يكون فلا يمكن الحديث عن عدل الفاروق اليوم لأن المسألة تتجاوز الشخص للمنظومة التي تساس بها حياة الناس.

ولعل منظومة الحكم التي يديرها قيس سعيد أكبر دليل على أنّ العدل لا يتحقق بمجرد التشبّه بشخص عادل أو بالحديث عن مناقب الأشخاص الذين سطّر التاريخ صحائف عدلهم، بل يكون بالاهتداء للمنظومة التي تحقق العدل والقسط، ولا منظومة في الدّنيا تحقّق العدل إلا الإسلام وتطبيق أحكامه،أما الخطابات الرنّانة التي لا يصدّقها العمل فخطب جوفاء تتملّق النّاس في شعبويّة هي النّفاق بعينه، لمخالفتها الصريحة لمقتضيات تحقيق نظام عادل، وقيس سعيّد مسلم ويعرف نظام الإسلام ولكنّه أعرض واطبى

والمفارقة التي تؤكّد شعبوية المنهج الذي اختاره قيس سعيد هو دعوته للديمقراطية الشعبية التي تنطلق من انتخاب تمثيليات الناس في الجهات ومن ثم الأقاليم وصولا إلى المركز وهي تعبيرة من تعبيرات الديمقراطية الشعبية والمحلية وهو ما يخالف المنهج الرباني الذي سار عليه عمر.فعمر ابن الخطّاب كان لا يسأل عن رغبات النّاس أو عن إرادة الشّعب بل كان يسأل عن إرادة الله وحده ولا يسأل عن الحكم الشّرعيّ لا يبتغي سواه، ومن ثمّ كان يطوف على النّاس في مدنهم وأحيائهم ليطبّق عليهم شرع الله وحده، والمتأمّل في هذا يرى التناقض بين قيس سعيّد وعمر ابن الخطّاب كالتناقض بين الليل والنّهار لا يلتقيان. إذن لماذا يصرّ قيس سعيّد على زعم التشبّه بعمر ابن الخطّاب وهو لا يسير سيرته؟

إنّها الشعبوية لتجميع مناصرين أكثر وتجميع الغاضبين من الحكام.

هذا النوع من الجمع بين التناقضات الفكرية هو في الحقيقة استمالة لجميع الأذواق وخداع للجماهير بطرح مشاعري يثير الأنفس ويجعلها تخدم صاحب هذا التوجه دون وعي او حتى مجرد تفكير وهذا عين الشعبوية.

وهو ما ينطبق على التعريفات المختلفة للشعبويّة كثيّر، إذ يعرفه البعض بأنه نوع من أنواع الخطاب الديماغوجي لتحييد القوى العكسية حيث يعتمد إثارة عواطف الجماهير لكسب تأييدهم وجعلهم خزانا انتخابيا ويركز على العاطفة دون التركيز على الخطاب الفكري الصريح الذي يعتمد مؤيدات وأرقام وحجج وبراهين

وهذا النوع من الخطاب عادة ما يكون خادعا للعامة المشاعرية التي تستهويها الشعارات الرنانة والخطابات الحماسية فيكونون هم أداة إيصال هؤلاء الشعبويين وهم أدوات حمايته حين يظهر زيف دعوته وخواء شعاراته وطرحه.

الفكر هو الطريق الشاق لأصحاب مشروع التغيير

قد يتساءل الكثيرون عن سبب نجاح أصحاب الطرح الشعبوي مقابل أصحاب الفكر العميق في الوصول للعامة وإحداث التغيير. يرجع هذا الأمر إلى طبيعة النظام القائم اليوم في العالم وهو النظام الديمقراطي الذي يجعل حكم الاغلبية هو طريق الوصول للحكم. ويُعلي من شأن كل من له يد مباشرة أو غير مباشرة في الوقوف حجرة عثرة أمام نظام جديد ترضي أحكامه العقل وتطمئن القلب.

ومتابع الحصيف يرى أنّ اعتماد الأغلبية لم تكن في كلّ التجارب الدّيمقراطيّة الطريقة المثلى في إيصال الصالحين والقادرين على إدارة الشأن العام،فخداع السياسيين لعامة الناس أصبح فنّا يتقنه ممتهنو السياسة ولا يرون في استعمال الأكاذيب والوعود الزائفةأيّ حرج ما دام سيوصلهم إلى غاياتهم.

ولأن طبيعة الجماهير لا يستهويها الطرح الفكري العميق وتكتفي بما هو سطحي حتى وان كانت في قرارة نفسها تدرك خطأه ولكن النظر للقضايا الحقيقية بعمق والنظر إلى جوانبها ومآلاتها يشغل العقل ويأخذ حيزا كبيرا منه وهو عادة امر مرهق لا تقبل عليه الناس وتنصرف إلى من يسقيها خمرا معتقة ويعدها ويمنّيها الأماني، والمشكل ان هذا النوع من الاستغباء يتكرر مع كل عملية انتخابية ويقع الناس في شباك الخطاب الشعبوي في كل مرة.

والحل للخروج من هاته المتاهة التي تتسبب في إيصال من ليسوا أهلا للحكم والقيادة هو إثارة التفكير عند الناس ولا شي غير الفكر طريقا لإبطال مفعول سحر الخطاب المعتمد من قبل هؤلاء وإثارة الفكر وإنهاض العقول هو عمل شاق ولكنه في النهاية هوالضمانة الحقيقية لإيصال مشروع جدي للحكم وإيصال حكام ورجال دولة من رحم الأمة وحينها لن يكون للشعبويين وأصحاب الوعود الكاذبة ومستغلي مشاعر الناس مكان في مستقبل حكم الأمة.

ويصبح التركيز على الفعل السياسي دون القول السياسي المبتور عن العمل وما ان تصل الأمة لهاته المرحلة من النضج فلن يخدعها المتسلقون وبائعوا الأوهام، وستمنح ثقتها حينها لمن يستحق ولمن يقوم على أمر العامة وهو مخلص لها ولدينها ولن يجد الشعبويون والعملاء والوصوليون مكانا في الوسط السياسي الرشيد بحول الله.

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا

البنك المركزي لا يزيد البلاد إلاّ ضغثا على إبالة

محمد زروق

الخبر:

تونس تقترض من البنوك المحلية 2،1 مليار دينار قروض سدادها بالعملة الصعبة وبنسب فائدة تتجاوز 2،75 بالمائة .

التعليق:

أصبحت سياسة الإقتراض سواء الداخلي أو الخارجي أمرا روتينيا بالنسبة للحكومات المتعاقبة في تونس وحلاً وحيدا لا تحيد عنه بغضّ النظر عن أشخاص الحكّام أو الجهات النيابية التي تسندهم، وهذا القرض مجال الحديث هو الثالث على التوالي الذي تلجأ فيه حكومة إلياس الفخفاخ إلى الاقتراض من 12 بنك محلي ما يناهز 2.1 مليار دينار أي ما يقابل 413 مليون دولار بعد أن تمكنت منتصف الشهر الماضي من الحصول على قرض بقيمة 745 مليون دولار من صندوق النقد الدولي، و20 مليون دولار من البنك العالمي.

الحكومة التونسية لا تتوانى عن إيجاد التبريرات التي تراها مناسبة لهذا الإدمان المفرط في سياسة الإقتراض، وهذه المرّة تقول أنّها تحصلت على هذا القرض من البنوك المحلية ضمن جهودها لتعبئة موارد مالية للتصدي لأزمة فيروس كورونا، وإذا التمويل هو من سيدعم الإجراءات التي أعلنتها الحكومة لاحتواء انتشار الفيروس وتخفيف تداعياته الإنسانيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، كلّ ذلك في ظل توقعات بإنكماش مؤكد للإقتصاد المحلّي مع موفى هذه السنة.

ومع تواصل سياسة الاقتراض التي تعتمدها، تواصل كذلك الحكومة إعتماد سياسة النّعامة حين تضع رأسها في الرّمل وتتعامى عن التحذيرات الجادة لمواصلتها قدما في هذا الخيار الذي يغضب ربّ العالمين أولا وينزع السيادة نزعا, وينهك الأفراد والمؤسسات الاقتصادية, ويفتح الأبواب مشرّعة أمام خيارات كارثية وصعبة ومؤلمة للبلاد.

وهذه ليست المرة الأولى التي تلجأ فيها الحكومة التونسية إلى الاقتراض من البنوك المحلية، كلّ ذلك يأتي في سياق البحث عن مصادر تمويل جديدة لميزانية الدولة تزامنا مع تفاقم العجز المزمن وارتفاع احتياجات المالية العموميّة. والعجيب في الأمر أنّ عددا من هذه البنوك فرضت كلمتها وشروطها على الحكومة حين إختارت استرجاع القرض بالعملة الأجنبية على أقساط سنوية بنسبة فائدة تناهز 2 بالمائة في حين فضلت بقية البنوك الموقعة الحصول على قيمة القرض دفعة واحدة بنسبة فائدة تبلغ 2 فاصل 25بالمائة .

القانون يجبر الدولة على الاقتراض من البنوك التجارية

يمنع الفصل 25 من القانون عدد 64/2015 المتعلق بضبط النظام الأساسي للبنك المركزي التونسي والذي تمت المصادقة عليه في 11 أفريل 2016, الدولة من الاقتراض من البنك المركزي ويجبرها على التوجه حصرا للبنوك التجاريّة وهيئات النقد الدوليّة لسد احتياجاتها الماليّة.

فالأصل وحسب أبجديّات النظام الاقتصادي الرأسمالي المتهالك المطبّق في تونس أن البنك المركزي في بلادنا أو في أي مكان آخر في العالم يمثل ركيزة الاقتصاد والملاذ, والحصن الأخير للحكومات لمجابهة التحديات والأزمات المستجدة بما يمثّله من دور حيويّ في إرساء دعائم النمو والاستقرار الاقتصادي والنقدي، هذا نظريا أمّا من الناحية العملية في تونس، ومع كوفيد19- وتداعياته، ومع استمرار تعطل محركات النمو، فإنّ البنك المركزي بمنعه الدولة من الاقتراض منه وإجبارها على التوجه للبنوك التجاريّة وهيئات النقد الدوليّة قد فتح الباب على مصراعيه لمرحلة جديدة تقطع نهائيًا مع الاستقرار المالي والتنموية المحليّة وتكافؤ الفرص والاستقلال الاقتصادي الذي طالما تحدّثوا عنه أنّه هو المنوال الاقتصادي السليم الذي يجب على الدولة إتّباعه، ولكن هذا المنع يعني مزيدا من هيمنة الأسواق المالية الدولية على مفاصل الاقتصاد ومزيدا من التدخل الخارجي في الشؤون الداخلية للبلاد ككل وليس فقط في النشاط المالي والاقتصادي بفرضها شروطا حضارية على أهل تونس كما هو الحال عند التوقيع على القرض الممدّد.

إستقلال المركزي التونسي.. الخطيئة السياسية

إذن القانون الأساسي الجديد للبنك المركزي التونسي هو الذي أوّلا: منح هذه المؤسسة صفة السيادية والإستقلالية، ثانيا: وهو في نفس الوقت منع من تقديم السيولة المالية لخزينة الدولة بطريقة مجانية، ثالثا: فرض على الدولة اللجوء للبنوك التجارية للاقتراض بنسب فائدة مُشطّة، وبالتالي أثقلت المديونية العمومية، وأخيرا رابعا: مكّن البنوك الخاصة من مرابيح طائلة، وأصبح بإمكانها لي ذراع الدولة بفعل القانون الذي لا يخدم إلاّ مصالح فئات قليلة من أصحاب الأموال الطائلة والثروات العظيمة.

إنّ إتّخاذ مثل هاته القرارات الخطيرة بذريعة الإصلاح وإعادة الهيكلة سينعكس سلبا على مجمل شؤون البلاد، وبالفعل فإنّ قرار استقلالية البنك المركزي لا يعبّر عن إرادة سياسية حقيقية لتغيير الأوضاع السّيئة في البلاد والمتمثلة في اقتصاد هش ونظم إجتماعية غير مستقرة وارتهان المالي لبنوك دولية استعمارية, وتنذر بالإنفجار في كلّ حين، بل تأتي في سياق تدخل دولي في الشؤون الداخلية للبلاد.

إنّ القانون الخاص بالنظام الأساسي للبنك المركزي وقرار استقلاليته يذكّرنا بقرارات كارثية أخرى إتخذها الوسط السياسي الحالي إستجابة منه لضغوط وإغراءات المؤسسات المالية الدولية مثل إعادة رسملة البنوك العمومية ومشروع إصلاح النظام الضريبي إضافة إلى مشروع اتفاق التبادل الحر الشامل والمعمق «الأليكا» المذلة بين الاتحاد الأوروبي مع تونس، فكلّ القرارات تخدم الليبرالية المتوحشة ومحاولة منها لنفخ الروح في نظامها الرأسمالي المتهاوي والمتهالك وتحريك مياه أسواقها الراكدة بعد الأزمات المستفحلة التي تعانيها.

هل تعيد أزمة كورونا الحسابات؟

كما وقعت الإشارة فإنّ جائحة كورونا دفعت الأطراف السياسية في تونس هذه المرّة إلى الاقتراض سواء من البنوك التونسية أو بالإعتماد على تمويلات خارجية من صندوق النقد الدولي أو من الاتحاد الأوروبي، فهل يدفع فيروس كورونا بهم إلى التفكير خارج النظم التقليدية بالإعتماد المباشر على قدراتنا الذاتية المادية والبشرية والتشريعية؟ خاصة بعد أن شاهدوا بأمّ أعينهم الغرب ومنظوماته المالية والاجتماعية تتهاوى أمام فيروس مجهري، فهل يعيدوا حساباتهم وهل يستطيعوا لمرّة واحدة التفكير من خارج صناديق الإستعمار الدولية وينظروا إلى تراث الأمّة التشريعي والحضاري ليستلهموا منه المعالجات الصحيحة المنبثقة من دين أمّتهم وشريعتهم الغرّاء ؟

وهذا عين ما أشار إليه المكتب الإعلامي لحزب التحرير في تونس في بيان بعنوان «البديل القادر على إخراج تونس من نظام الأزمات» حيث أشار إلى أنّ غلاء المعيشة وتدهور القدرة الشرائية لأهل تونس وتراجع قيمة الدينار والتضييق على أرزاق الناس بالجباية المحرّمة وغيرها إنّما هو ثمرة لتطبيق النظام الرأسمالي والخضوع لأوامر الدوائر الإستعمارية الدولية وعلى رأسها صندوق النقد الدولي، إنّ معالجة الأزمات الاقتصادية تبدأ بالتفكير من خارج المنظومة الرأسمالية، ولا شكّ أنّ التفكير المستنير يقودنا إلى الإسلام العظيم وأحكامه بوصفه العلاج الناجع لكلّ مشاكل الإنسان بما فيها الناحية الاقتصادية، فلا خلاص لنا حقيقة وواقعا إلاّ بالإسلام وحكمه الراشد.

الإعلام الخاص مدين ب 17 مليون دينار للإرسال الإذاعي

أكد ذاكر بكوش رئيس مدير عام الديوان الوطني الارسالي الإذاعي والتلفزي يوم الثلاثاء 12 ماي 2020 لدى تدخله في إذاعة اكسبراس أف أم أن من بين المعايير التي يتم من خلالها إحتساب تكلفة البث تتمثل في معيار الكثافة السكانية (ولاية تطاوين 20 ألف دينار في العام بينما في تونس العاصمة تكلفة البث على بوارنين 100 ألف دينار في العام).

وفي ظل تكاثر وسائل الإعلام الخاص بعد الثورة أكد بكوش أنه تم سنة 2014 أخذ إجراءات لدعم تكلفة البث من قبل الدولة ب40 و50٪ مشيرا إلى أن الديوان لديه 104 محطة في الجمهورية حيث تتضمن هذه المحطات أجهزة غالية وبنية تحتية وعاملين وهذه الكلفة يتحملها الديوان وفق تعبيره.

وأضاف بكوش أن مجموع ديون الإعلام الخاص من 2016 إلى الآن تقدر ب 17 مليون دينار، حيث تقدر ديون الإذاعات الخاصة ب 10,5 مليون الدينار والتلفزات الخاصة ب6,3 مليون دينار والإذاعات الجمعياتية ب150 ألف الدينار مؤكدا أن ديون الإذاعات الخاصة يتضمن جزء كبيرا من الإذاعات المصادرة حيث تقدر ديون إذاعة شمس اف ام وحدها ب 3,5 مليون دينار.

وبالنسبة الإعلام العمومي أكد رئيس مدير عام الإرسال الإذاعي أن الدولة تتكفل وتقدم في دعم كبير من صندوق الاتصالات لخلاص الإرسال مشيرا إلى أن التكلفة الإجمالية للإعلام الخاص تقدر ب10 مليون دينار و30 مليون دينار للإعلام العمومي في السنة بالنسبة لديوان الإرسال الإذاعي.

بسام فرحات (أبو ذرّ التونسي)

في الأساطير المؤسّسة للنّعرة الأمازيغيّة البربريّة 4/4

إنّ الأطروحة المركزيّة للفكر الاستعماريّ الفرنسيّ والأسس النظريّة العامّة التي قامت عليها مدرسته التاريخيّة تتمثّل في فكّ الارتباط بين البربر وعمقهم المشرقيّ العربيّ - عرقا وثقافة ولغة وعقيدة - كمقدّمة نحو طمس هويّتهم وإلحاقهم بفرنسا..ولتحقيق ذلك انتهج الاستعمار ما أسماه (السّياسة البربريّة) القائمة أساسا على زرع التّفرقة بين السكّان المغاربيّين وتقسيمهم على أساس عرقيّ جنسيّ إلى بربر وعرب نافيا أيّة صلة بينهما مؤكّدا على أنّ العرب المسلمين دخلاء محتلّون وأنّ البربر المسيحيّين ضحايا مضطهدون.. بعد تركيز هذه المسلّمة غير القابلة استعماريّا للنّقاش انخرط عبر مدرسته التاريخيّة في تزويدها بمدعّماتها و(أكسسواراتها) :فادّعى بأنّ البربر جنس موحّد محلّي غير ساميّ تربطه وشائج حميمة بأوروبا ،وأنّ لهجته (الشّلحة) لغة قائمة الذّات موحّدة محليّة مفصولة عن عائلة اللغات السّاميّة لفظا ورسما.. إلاّ أنّ الأبحاث التاريخيّة والأركيولوجيّة والأنثروبولوجيّة واللّسانيّة أثبتت كلّها بما لا يدع مجالا للشكّ تهافت الأطروحات الاستعماريّة وترسيخ البربر - عرقا وحضارة وثقافة - في محيطهم السّامي المشرقيّ العربيّ القديم ،ممّا حدا بأحد أقطاب منظّري المدرسة التاريخيّة الاستعماريّة (روني باسي) إلى الاعتراف في كتابه (البربر)ص 151 (لا أعتقد في إمكانيّة إحياء حضارة بربريّة هذه الحضارة التي لم تهتمّ بها النّخبة البربريّة نفسها مطلقا :فمنذ القرن 19م سُجّلت استفاقات للعديد من الشّعوب لكنّ شيئا من هذا لم يحصل عند البربر الذين يخجلون أحيانا من هذا الانتماء)..هذه الصّفعة المسفّهة لأحلام المضلّلين من ذوي النّزعة الانفصاليّة الأمازيغيّة لم تثن مؤرّخيّ الاستعمار عن تجاوز ما نطقت به شواهد التّاريخ صراحة نحو تأويل الأحداث التاريخيّة وتحميلها أضغانهم الاستعماريّة الصليبيّة..

أسطورة الصّراع التاريخيّ

ثالث الأرحام التي اعتملت فيها النّعرة الأمازيغيّة البربريّة - بعد العرق والثّقافة - تاريخيّة بالأساس وظيفتها إضفاء مصداقيّة عمليّة ميدانيّة تسند المصداقيّة العلميّة التي ادّعتها المدرسة الاستعماريّة لأبحاثها المغرضة وخلعتها على سائر افتراءاتها.. فمهما لا شكّ فيه أنّ وضع اليد على الجغرافيا بادّعاء المغايرة والعداء والأحقيّة والتميّز عن العرب والمسلمين - عرقا ولغة وثقافة ومعتقدات - لا يكتمل ولا يكتسب مشروعيّة ترقى به إلى مستوى الحقائق إلاّ بالحجر على التّاريخ وإجبار أحداثه على المصادقة عليه عبر التعسّف على الحوادث التاريخيّة وليّ أعناقها واستنطاقها عنوة بالعداء الدمويّ بين الجنسين بما يبرّر فصل المغرب العربيّ عن المشرق الإسلاميّ ودمجه بالكيان الفرنسيّ.. على هذا الأساس سعت المدرسة التاريخيّة الاستعماريّة إلى البرهنة على الصّراع العربيّ/البربريّ المفترض وإثبات صفة الدّيمومة والتّواصل والاسترسال له وإسباغ الطّابع القوميّ الدينيّ المعادي للعروبة والإسلام عليه..فتسلّطت على تاريخ المنطقة ونقضته وشوّهته وحرّفت حقائقه وطمست إيجابيّاته وضخّمت سلبيّاته ووضعتها تحت مجهر حقدها الصليبيّ وفسّرت مناكفاته البسيطة بأنّها (صراعات دمويّة تعبّر عن ذاتيّة البربر ونزوعهم القومي ورفضهم للإسلام)..ثمّ أخذت في نسج ملامح ما أسمته (المقاومة البربريّة والثّورات البربريّة ضدّ الاحتلال العربيّ الإسلاميّ) فأسقطت هذه الدّعاوى الثوريّة الفجّة والأوهام الاستعماريّة المريضة على انتفاضة (كسيلة) - وهي مجرّد ردّ فعل على إهانة عقبة بن نافع له - وانتفاضة (الكاهنة) - وهي تمظهر طبيعيّ لغريزة البقاء بالدّفاع عن النّفس - وكلتاهما لا تعكسان عداء قوميّا عقائديّا البتّة..أمّا أهمّ حدث استندت إليه تلك المدرسة الاستعماريّة لإثبات ادّعاءاتها وافتراءاتها فهي الثّورات الخوارجيّة التي اندلعت ببلاد المغرب في عهد ولاة بني أميّة :فقد عدّتها دليلا على النّزوع القومي العقائديّ لدى البربر ورغبتهم في الاستقلال والتحرّر الوطنيّ من ربقة العرب المسلمين وبنت عليها مشروعها الانفصالي الإلحاقي الادماجي المستهدف للبربر ثقافة وعقيدة وهويّة وانتماء..

ثورة أم انتفاضة..؟؟

ولئن ركبت المدرسة الاستعماريّة شواهد التّاريخ لتأكيد مغالطاتها فإنّها تعاملت مع تلك الشّواهد بانتقائيّة وبخلفيّة مغرضة :فقد انطلقت من الانتفاضة الخوارجيّة التي شهدتها إفريقيّة إبّان القرن 08م وزيّفت حقائقها وشوّهتها وضخّمتها وجعلت منها ثورة على الدّين الإسلاميّ والجنس العربيّ ،ثمّ عمّمت ذلك على السّيرورة التاريخيّة لعلاقة البربر بالدّولة الإسلاميّة المركزيّة..ونحن وإن كنّا لا ننكر تلك الحوادث التاريخيّة الثّابتة التي تلبّس فيها البربر الخوارج بشقّ عصا الطّاعة على الدّولة الأمويّة ،ولكنّنا ننكر قراءة المدرسة الاستعماريّة المغرضة لها والحجم الذي أعطته لها بحيث أضفت عليها بعدا قوميّا دينيّا ذا روح تمرّدية انفصاليّة معادية للعروبة والإسلام..

وبالرّجوع إلى تلك الوقائع نلمس دون عناء أنّ ما أسمته فرنسا (ثورة) ما هو في الواقع إلاّ مجرّد انتفاضة ضدّ مظالم ولاة بني أميّة وعمّالهم :فالبربر لم يكونوا راغبين في العصيان ولا مبادرين به ،وكانوا قابلين بالسّلطة المركزيّة خاضعين لها وقد وصفهم الطبريّ في تاريخه بقوله (فمازالوا من أسمع أهل البلدان وأطوعهم ومن أحسن الأمم إسلاما وطاعة)..وكان هذا دأبهم مع الولاة الصّالحين التّقاة الذين نهجوا سياسة الرّفق واللّين لاستمالة البربر إلى الإسلام على غرار (أبي المهاجر دينار وحسّان ابن النّعمان واسماعيل ابن عبيد الله..) ثمّ مع الخليفة الرّاشد عمر ابن عبد العزيز (رض)..أمّا فيما عدا ذلك فلم ير البربر من ولاة بني أميّة إلاّ الشدّة والعنت حيث ساموهم ألوان المذلّة والمهانة فاضطهدوهم ونهبوا أموالهم واستعبدوهم ونكّلوا بهم واعتبروهم فيئا وقدّموهم في القتال وحرموهم من الغنائم ،ووصلت بهم الجرأة أن ضربوا عليهم الجزية وسبوا نساءهم وهم مسلمون..ورغم كلّ ذلك فضّل البربر التريّث وعدم الانسياق وراء دعاة الثّورة وخيّروا إرسال وفد إلى دمشق لمقابلة الخليفة والتشكّي من عسف الولاة والعمّال ،لكن وقعت مماطلتهم ومنعوا من مقابلة الخليفة عندئذ تأكّد لديهم أنّ الظلم من أعلى هرم السّلطة فقرّروا شقّ عصا الطّاعة على (أيمّة الجور)..وحتّى عند خروجهم على الحكم المركزي فإنّ انتفاضتهم تلك كانت ظرفيّة مناسباتيّة محدودة في الزّمان والمكان وسرعان ما انطفأت بانتفاء مسبّباتها وملابساتها ،فلم تكن ثورة انفصاليّة عن الحكم المركزي بقدر ما كانت انتفاضة على ظلم الولاة والعمّال وعسفهم..

أسطورة الردّة البربرية

لم تكتف المدرسة التاريخية الاستعمارية بتضخيم حجم الانتفاضة البربرية وتحويلها إلى أصل وقاعدة في علاقة البربر بالدولة الإسلامية، بل أسبغت عليها رودًا عقائدية واعتبرتها (ردّة بربرية عن الإسلام): وبالرّجوع إلى تلك الحوادث نلمس دون عناء أنّها لا تعكس البتّة رغبة في الخروج عن الإسلام والتحلّل من شرائعه وأحكامه - بل على العكس تمامًا - فهي انتفاضة باسم الإسلام ومن داخل العقيدة الإسلامية نفسها..فقد ارتمى البربر في أحضان المذهب الخارجي للتعبير عن رفضهم للظلم لما يتميّز به أتباع هذا المذهب من الصدع بالحق ومناكفة الحكّام الظلمة، كما أنّه مذهب يقوم على درجة عالية من النقاوة والمثاليّة المفرطة التي تلامس حدود التنطّع والغلوّ في الدّين حتى عدّوا مرتكب الصّغيرة كافرًا...وكانوا أبعد الناس عن الموبقات والمعاصي والمحارم، وصفهم معاصروهم فقالوا (خلطوا قيام ليلهم بصيام نهارهم، منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن..) ولمّا قدم عليهم عبد الله ابن العبّاس (رض) لمناقشتهم (رأى منهم جباهًا قرحة لطول السّجود)..

فالأفكار التي أثّثت انتفاضة البربر هي أفكار إسلاميّة بحتة، فقد تولّى الفكر الخارجي الصّفري والإباضي الصّياغة النّظرية لانتفاضتهم وردّة فعلهم المشروعة على (أيمّة الجور)..وممّا يؤكّد ذلك أنّهم تبنّوا المذهب الخارجي ولم يكونوا في معاركهم يُفصحون عن بربريّتهم أو مجوسيّتهم بل كانوا يتشبّهون بخوارج المشرق ويتأسّون بهم، فكانوا يحلقون رؤوسهم اقتداءً بالأزارقة وأهل النهروان، كما كانوا يرفعون الشعارات الخوارجيّة، وكانوا أيضًا على صلة بإخوانهم الإباضيّة بالمشرق يستشيرونهم ويحتكمون إليهم ويستفتونهم في مسائل فقهية وسياسية ويدينون لهم بالولاء..فانتفاضتهم كانت مذهبيّة على أساس أفكار إسلاميّة غيرة على الدّين ورغبة في إحسان تطبيقه لذلك فإنّها لم تفصلهم عن الإسلام بقدر ما زادت في تعميق الارتباط العقائديّ والثّقافيّ بينهم وبين العرب المسلمين..هذا التلبّس بالإسلام من طرف البربر أثار اندهاش الأوروبيين، وقد علّق الدكتور (جورج مارسي) بقوله (ففي أقل من قرن واحد اعتنق البربر الإسلام في حماسة تجعلهم راغبين في اغتنام الشهادة..وبينما كانت معظم البلاد المفتوحة تحتفظ بطوائف مسيحيّة إلا أنّ وطن سان أوغسطينوس عمّ الإسلام أهله تمامًا)..

أسطورة القوميّة الشعوبيّة

وينسل من الفرية السّالفة (الردّة البربريّة) فرية أخرى أظهر تهافتًا منها: فمن مقتضيات الردّة وجود النّزعة العرقيّة القوميّة الشعوبيّة، لذلك فقد رأت المدرسة التاريخيّة الاستعماريّة في الانتفاضة الخوارجيّة منزعًا قوميًّا عنصريًّا شعوبيًّا من البربر تجاه العرب...وفي الحقيقة فإنّ تلك الانتفاضة كانت خالية من المشاعر القومية البربرية ولم تكن البتّة لأسباب عرقيّة بين جنسين متعاديَين، بل كانت كما أسلفنا مجرّد ردّة فعل على ما سُلّط عليهم من مظالم من طرف ولاة وعمّال بني أميّة..فلم تظهر في البربر عبر تاريخهم الإسلاميّ تلك النزعة الشعوبيّة القائمة على معاداة العرب وكراهيّتهم كالتي ظهرت عند الفرس المجوس: فهؤلاء جاهروا بالطّعن في العنصر العربيّ والتباهي بالعنصر الفارسيّ وألّفوا الكتب في مثالب العرب وكلّ ما يحقّر من شأنهم (لصوص العرب - بغايا قريش - مثالب ربيعة - مثالب قريش..) كما استنقصوا من مزايا العرب وطعنوا فيها (الجود والكرم - البلاغة - الخطابة - الشعر - الفروسيّة)..وكان للعرب عطف خاص على البربر وشعور مميّز تجاههم لما يجمع بين الجنسين من نقاط تشابه في الطباع والعادات ونمط الحياة البدويّ القبليّ الترحالي الرّعويّ، وصفهم موسى بن نصير بقوله (هم يا أمير المؤمنين أشبه العجم بالعرب لقاءً ونجدةً وفروسيّة وشهامةً وسماحة)..ولم يكن العرب يحتقرونهم أو يستنكفون عن مصاهرتهم حتى أن صقر قريش عبد الرحمان الداخل مجدّد الدولة الأموية بالأندلس أمّه جارية بربريّة (سلاّمة) من قبيلة نفزة..بل إن فصائل عربيّة عديدة قد تبربرت بحكم المصاهرة والاختلاط (بلاد الجريد - وادي سوف - وادي مزاب) ممّا أثار استغراب واندهاش الأوروبيّين أنفسهم..وقد بادل البربر العرب نفس هذا الشعور: فمشاهيرهم وكبار قادتهم عوض الافتخار بعنصرهم البربريّ كانوا يبحثون لأنفسهم عن أنساب عربيّة وكانوا يعلنون - إن حقًّا أو باطلاً - انتماءهم إلى العرب وانتسابهم إلى آل البيت ويعدّون ذلك مفخرة لهم..كما أن الدّويلات البربريّة التي نشأت في بلاد المغرب (بنو عبد الواد - بنو زيّان - بنو مرين - بنو حمّاد - المرابطون - الموحّدون - بنو حفص..) لم تقم أيّة واحدة منها على العصبيّة البربريّة ولم تصدر عنها في مشروعها السياسيّ..وممّا يلفت الانتباه ويثير الاستغراب والدّهشة أن البربر سواء في دويلاتهم التي أسّسوها أو الفرق الخارجية والشيعية التي انتسبوا إليها قد التفّوا حول العناصر العربيّة وقدّموها على العناصر البربرية ووضعوها في قمّة المسؤوليّة ودانوا لها ولذرّيتها من بعدها بالولاء، وهذا لم يحصل مع أي دخيل آخر على المنطقة..بل إنّ من القبائل البربريّة من انحازت أثناء الانتفاضة الكبرى إلى العرب وإلى السلطة المركزية وقاتلت بني جلدتها على غرار (مليلة - هوارة - نفوسة)..فعن أيّة ثورة قوميّة عقائديّة على العرب والإسلام نتحدّث..؟؟ (انتهى)

علماء الزّيتونة والسياسة

ياسين بن علي

الحمد لله والصّلاة والسّلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

تعريف السياسة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: "ساس الأمرَ سياسةً قام به... ويقال سوّسَ فلانٌ أمرَ بني فلان أي كلّف سياستهم... وفلان مُجرّب قد ساسَ وسيسَ عليه أي أُمّرَ وأُمِرَ عليه، وفي الحديث كان بنو إسرائيل يَسُوسُهم أنبياؤهم أي تتولى أمورَهم كما يفعل الأمَراء والوُلاة بالرّعيّة، والسّياسةُ القيامُ على الشيء بما يُصْلِحه. والسياسةُ فعل السائس يقال: هو يَسُوسُ الدوابّ إذا قام عليها وراضَها...".وفي تاج العروس للزبيدي: "ومن المجاز: سُسْتُ الرّعيّةَ سِيَاسَةً بالكَسْرِ: أَمَرْتُهَا ونَهَيْتُهَا. وساسَ الأَمْرَ سِيَاسَةً: قامَ به... والسِّيَاسَةُ: القِيامُ على الشَّيْءِ بما يُصْلِحُه".وفي المفردات للراغب الأصفهاني: "ويسمى كل سائس لنفسه أو لغيره راعيا وروي: (كُلُّكُمْ رَاعٍ، وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)".

فكلمة "السياسة" إذنكلمة عربية فصيحة، وهي تطلق في الأصل على رعاية الدّابة وترويضها، ثم استعملت مجازا في رعاية أمور الناس، وتدبير شؤونهم. ومن شواهد استعمال اللفظ على الحقيقة أي على رعاية الدّابة ما أخرج مسلم في صحيحه عن ابن أبي مليكة أن أسماء (بنت أبي بكر) قالت: "كُنْتُ أَخْدُمُ الزُّبَيْرَ خِدْمَةَ الْبَيْتِ، وَكَانَ لَهُ فَرَسٌ، وَكُنْتُ أَسُوسُهُ، فَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْخِدْمَةِ شَيْءٌ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ سِيَاسَةِ الْفَرَسِ، كُنْتُ أَحْتَشُّ لَهُ وَأَقُومُ عَلَيْهِ وَأَسُوسُهُ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهَا أَصَابَتْ خَادِمًا، «جَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم سَبْيٌ فَأَعْطَاهَا خَادِمًا»، قَالَتْ: كَفَتْنِي سِيَاسَةَ الْفَرَسِ، فَأَلْقَتْ عَنِّي مَؤُونَتَهُ...".

ومن شواهد استعمال اللفظ على سبيل المجاز أي بمعنى تولي أمر النّاس ورعاية شؤونهم ما أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ».وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن المستظلّ بن حصين قال: خطبنا عمر بن الخطاب فقال: "قَدْ عَلِمْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ مَتَى تَهْلِكُ الْعَرَبُ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: مَتَى يَهْلِكُونَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: حِينَ يَسُوسُ أَمْرَهُمْ مَنْ لَمْ يُعَالِجْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَمْ يَصْحَبِ الرَّسُولَ صلى الله عليه وسلم".

الدّين والسياسة:

لا يعرف الإسلام الفصل بين الدّين والسياسة، فهو عقيدة ونظام يرعى شؤون الدنيا والآخرة على حدّ سواء. ولا يعرف الإسلام القسمة الغربية الطبقية التي تجعل للدنيا طبقة تسمّيهم رجال السياسة (أو رجال الدولة) وتجعل للآخرة طبقة تسمّيهم رجال الدّين. فهذا المفهوم من المفاهيم الغريبة عن ثقافتنا وحضارتنا.

وقد بيّن خير الدّين التونسي رحمه الله تعالى (1810 – 1890م) مدى الحاجة إلى اشتغال العلماء بالسياسة فقال: "هذا وإنّ الأمة الإسلامية لما كانت مقيّدة في أفعالها الدينية والدنيوية بالشرع السماوي، والحدود الإلهية الواردة على الميزان الأعدل، المتكفّلة بمصالح الدارين، وكانت ثمّة مصالح تمسّ الحاجة إليها، بل تتنزل منزلة الضرورة يحصل بها استقامة أمورهم وانتظام شؤونهم، لا يشهد لها من الشرع أصل خاص كما لا يشهد بردها، بل أصول الشريعة تقتضيها إجمالا وتلاحظها بعين الاعتبار، فالجري على مقتضيات مصالح الأمة والعمل بها حتى تحسن أحوالها، ويحرزوا قصب السبق في مضمار التقدّم، متوقف على الاجتماع وانتظام طائفة من الأمة ملتئمة من حملة الشريعة ورجال عارفين بالسياسات ومصالح الأمة متبصرين في الأحوال الداخلية والخارجية ومناشئ الضرر والنفع، يتعاون مجموع هؤلاء على نفع الأمة بجلب مصالحها ودرء مفاسدها... فرجال السياسة يدركون المصالح ومناشئ الضرر، والعلماء يطبقون العمل بمقتضاها على أصول الشريعة. وأنت إذا أحطت خبرا بما قررناه، علمت أنّ مخالطة العلماء لرجال السياسة بقصد التعاضد على المقصد المذكور، من أهم الواجبات شرعا؛ لعموم المصلحة... فالعالم إذا اختار العزلة والبعد عن أرباب السياسة فقد سدّ عن نفسه أبواب معرفة الأحوال المشار إليها، وفتح أبواب الجور للولاة... وحيث كانت إدارة المصالح السياسية مما لا يتيسر لغالب الولاة إجراؤها على الأصول الشرعية؛ لأسباب شتى يطول شرحها، وتقدمت الأدلة على ما يترتب على إبقاء تصرفاتهم بلا قيد من المضار الفادحة، رأينا أن العلماء الهداة جديرون بالتبصر في سياسة أوطانهم، واعتبار الخلل الواقع في أحوالها الداخلية والخارجية، وإعانة أرباب السياسة بترتيب تنظيمات منسوجة على منوال الشريعة...".

فهذا خير الدّين الذي يعدّ عند دعاة الحداثة من أعظم المصلحين يعتبر مخالطة العلماء للسياسة ضرورة يقتضيها التعاضد على نفع الأمة ورعاية مصالحها.

وفي تاريخ تونس على وجه الخصوص، شواهد كثيرة تدحض مقولة انعزال العلماء عن السياسة؛ إذ كانوا ساسة فقهاء وفقهاء ساسة. ومثال ذلك: نجد في ترجمة الشيخ العلامة صالح بن حسين الكوّاش رحمه الله تعالى (ت1803م) ما يدلّ على اهتمام علماء الزيتونة بالسياسة ودقّة فهمهم لمعناها. "قال له الأمير علي باي مرة: يا أيها الشيخ، إنك جمعت من العلم والدّين ما تفرق في غيرك، ولكنك لا تحسن السياسة. فقال: أنا أعلم الناس بالسياسة، ولكنك تريد أن تخالف الشرع وأجاريك على ذلك، فإذا لم أجارك قلت إني لا أحسن السياسة".

ونجد أيضا في كتب التراجم مشاركة جمع من الفقهاء والعلماء من أساتذة الزيتونة في أعمال سياسية دبلوماسية كالسفارة، ومنهم الشيخ إبراهيم الرياحي (ت1850م) والشيخ سالم بوحاجب (ت1924م) والشيخ صالح الشريف (ت1920م) بل من العلماء من تولى منصب الوزارة وهو من أعلى الرتب الحكومية والسياسية كالشيخ محمد العزيز بوعتور (ت1907م) والشيخ يوسف جعيّط (ت1915م).

وقد عدّ محمد رشيد رضا مشاركة علماء الزيتونة في السياسة مفخرة من المفاخر التي حقّ للزيتونة أن تتباهى بها، فقال: "(وزراء تونس من العلماء): ذكرنا بهذا ما رأيناه في الجرائد التونسية الأخيرة من خبر وفاة الوزير الأكبر وجعل وزير القلم والاستشارة خلفا له، وجعل رئيس محكمتي الاستئناف من قبلخلفا لهذا. فالوزير المتوفى كان نابغا في العلوم العربية والدينية؛ إذ تلقاها في جامع الزيتونة حتى قيل: إنه يعد من طبقة أهل الترجيح في الفقه، وكذلك وزيرالقلم الجديد وهو الشيخ يوسف جعيّط فهو من أشهر المتخرجين في ذلك الجامع، وقددرس فيه ثم اشتغل بالسياسة، وتقلب في المناصب حتى صار اليوم وزير القلموالاستشارة، فهذان الوزيران قد دخلا باب السياسة، وهما شيخان زيتونيان بكلمعنى الكلمة كما يقول الغربيون، حتى ارتقيا إلى منصة الوزارة. فهل يخطر فيبال أحد من مدرسي الأزهر، أن يستعد لمثل ذلك حتى يكون أهلا للوزارة، أو لمادونها من أعمال الحكومة؟ كلّا، إنّ أحدا منهم لا يفكر في مثل هذا الاستعداد، ولو فعله أحد منهم لكان خيرا لهم، وأشدّ تثبيتا في العلم والدين...".

نعم، حدثت في تاريخنا حادثة ذكرها جمع من مؤرخي تونس تفيد امتناع بعض العلماء عن إبداء رأي في مسألة سياسية، وهي قانون عهد الأمان؛ إذ ذكر ابن أبي الضياف (ت1874م) في "الإتحاف" أنّهم تعلّلوا بأنّ المسألة سياسية وليست شرعيّة.

ففي سبتمبر 1857م أعلن الباي محمد بن حسين بن محمود (ت1859م) قانون عهد الأمان المبني على إحدى عشرة قاعدة منح من خلالها جميع سكان البلاد على اختلاف أديانهم ومذاهبهم الأمان في أبدانهم وأموالهم وأعراضهم، ووقع التنصيص فيه على حقّ التديّن دون إكراه، والمساواة في الحقوق العامّة وغير ذلك. وسبب صدور القانون قضية مقتل اليهودي المسمّى "باطو" الذي كان يخدم على كرطون [كريطة] للقائد نسيم رئيس اليهود لأنّه شتمسلما وسبّ دينه. فقتله الباي تنفيذا لحكم المجلس الشرعي الذي أفتى بقتله بلا استتابة،حسب المذهب المالكي وبخلاف المذهب الحنفي، وقتل اليهودي بالسيف رغم تدخل القنصلية الفرنسية في القضية. فقام اليهود في باريس بأعمال لتأليب الرأي العام الأوروبي على تونس، واستغلت فرنسا وانجلترا الفرصة، فتدخّلوا في سياسة البلد وهدّدوا الباي باستعمال القوّة، وضغطوا لاستصدار قوانين تجاري قوانينهم وتمنع تكرّر الحادثة. وقد شكّل فيما بعد مجلس من الوزراء والعلماء لشرح قانون عهد الأمان وتفسير قواعده. وكان من ضمنهم أكبر علماء القطر التونسي وهم: شيخ الإسلام محمد بيرم الرابع، والشيخ محمد ابن الخوجة المفتي الحنفي، والشيخ أحمد بن حسين رئيس الفتوى في المذهب المالكي، والشيخ محمد البنا المفتي المالكي، فحضروا المجلس أوّلا ثم امتنعوا. فلامهم ابن أبي الضياف على ذلك قائلا: "وكان الظنّ بهم تقديم هذه الطاعة المتعدية على غيرها من الطاعات القاصرة. وتعلّلوا بأنّ منصبهم الشرعي لا يناسبه مباشرة الأمور السياسية، إلى غير ذلك من المعاذير التي لو لم نرها بقلمهم ما نقلتها.وقبل هذا الباي عذرهم، وأراحهم من تعب الحضور، ولسان حال المسلمين بهذه الإيالة المسكينة يقول: (مما يجب اعتقاده أنّ الله الذي دينه النّصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، ومن أوامره الواجبة على عباده تغيير المنكر ولو بالقلب، ومن شريعته السمحاء ارتكاب أخفّ الضررين عند العجز عن السلامة منهما، إلى غير ذلك من تيسير هذه الشريعة الصالحة لكل زمان، يسألهم عن ذلك يوم تبلى السرائر، ثم إنّ ربّك من بعدها لغفور رحيم). وكيف يروج تعلّلهم وهم الأعلام السابقون في ميادين العلوم المعقولة".

في كتابه «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك»، ص63-61 دار الكتاب المصري- القاهرة، ط1 سنة 2012م.

المجلة الزيتونية، م1 ج8 ص402

وصفه محمد محفوظ في تراجم المؤلفين التونسيين ج2 ص387 بقوله: «العلامة الفقيه، الأديب الشاعر، الصوفي، الرحالة، السياسي».

كان تعلّقه رحمه الله - كما قال الشيخ الفاضل ابن عاشور - شديدا بحياة الجامعة الإسلامية وأحكام الارتباط بالخلافة العثمانية. فارتحل إلى المشرق وقصد دار الخلافة، وطاف في كثير من البلدان، وقام بأعمال سياسية عظيمة، بتكليف من الدولة وبغير تكليف، من أجل نصرة الخلافة العثمانية والدفاع عنها. ينظر ترجمته في: المجلة الزيتونية، م8 ج2 ص78-74 لسنة 1952م.

عن مجلة «المنار»، م10 عدد مارس 1907م.

ينظر: «خلاصة تاريخ تونس» لحسن حسني عبد الوهاب، ص172-171دار الكتب العربية الشرقية-تونس ط3 سنة 1373هـ. و «صفوة الاعتبار» لمحمد بيرم الخامس، ج2 ص14-10 دار صادر-بيروت. و «اتحاف أهل الزمان» لأحمد بن أبي الضياف، ج4 ص245-233، منشورات زخارف-تونس، ط1 سنة 2016م.

والحقيقة، أنّ امتناع العلماء لم يكن من باب فصل السياسة وفق مفهومها الإسلامي عن الدّين والشّرع، إنما من باب فصل السياسة المبنية على الهوى والعقل عن الشّرع. وهو ما وضّحه وأكّده الشيخ محمد بيرم الخامس في رواية أخرى للحادثة مفسّرا امتناع العلماء (ومنهم والده) واستقالتهم من مجلس شرح قواعد عهد الأمانبقوله: "متعلّلين بأنّ الذي بدا لهم من مغزى الجماعة هو الميل البحت للسياسة الساذجة من غير التفات إلى محاذاة الشّرع بل وربما عارض ما يصادم القواطع، وحيث كان عمل المجلس على ما يستقرّ عليه رأي الغالب لم يأمنوا أن يسند إلى المجلس ما يخالف الشّرع ويحمل ذلك على عاتقهم". فامتناعهم رحمهم الله عن المشاركة في تفسير قانون عهد الأمان وتبريره بمبرّرات شرعيّة - رغم اشتماله على بعض القواعد التي يقرّها الشّرع الإسلامي- هو في ذاته سياسة؛ لأنّهم كانوا واعين على ظروف وملابسات إصدار القانون الذي صيغ بضغط أوروبي ليوافق قوانين أوروبا وبجاريها، وليقنّن قوانين مخالفة للإسلام ومناقضة لشريعته وأحكامه.

ولايفوتنا في هذا المقام التذكيربعض مشايخ الزيتونة ممن مارسوا السياسة، وتجسّموا صعابها وكابدوا متاعبها، مع اختلاف مناهجهم، ومنهم - على سبيل الذكر لا الحصر -:

- الشيخ محمد الصادق بن محمد الطاهر بن محمود ابن الشيخ أحمد النيفر رحمه الله (ت1938م) الذي ترجم له محمد محفوظ في تراجمه بقوله: "المحدّث، الفقيه، المشارك في علوم، السياسي الخطيب... كان إماما وخطيبا بجامع باب بحر (المعروف بجامع الزرارعية وهو جامع الدعي الحفصي ابن أبي عمارة) وكثيرا ما يتعرّض للسياسة والاقتصاد ويسوق المواعظ المؤثرة فيبكي الحاضرين ويبكي... وعندما تأسّس الحزب الحرّ الدستوري عام 1337/1918 انتسب إليه... وكان عضوا باللجنة التنفيذية". ونتيجة لعمله السياسي المناهض للاستعمار، عزل عن القضاء والتدريس، فلازم بيته منعزلا عن الحياة العامّة. وقد حاول شيخ الإسلام الحنفي أحمد بيرم إرجاعه إلى وظيفة التدريس في جامع الزيتونة، فجاء "الجواب النهائي، وهو أنّ الشيخ دستوري، وله أفكار سياسية، وعليه فلا يمكن إرجاعه إلى التدريس. ومن كل هذا يتبيّن لنا أنّ المترجم كان وطنيا صادقا، وسياسيا محنكا، وذا مواهب خصبة عاملا في ميدان السياسة والعلم والقضاء".

- والشيخ إدريس الشريف رحمه الله (ت1934م) الفقيه الشاعر، مفتي بنزرت. "كانت له مواقف سياسية وقفها في مناسبات عديدة كونت له شهرة واسعة وذكرا جميلا، ومن أشهرها وأعظمها فتواه في عام 1932 في كفر المتجنّس وإنه تبعا لذلك لا يدفن في مقابر المسلمين... ".

- والشيخ محمد بن محمد شاكر الصفاقسي رحمه الله (ت1963م) الفقيه الأديب الشاعر الصوفي. "كان له حسّ وطني صادق يكره الاستعمار وسياسته الملتوية ووعوده الكاذبة الجوفاء، فكوّن مع بعض معاصريه كالسيد أحمد المهيري صاحب جريدة "العصر الجديد"، والشيخ الطاهر طريفة جمعية سياسية سرية بعد انقضاء الحرب العالمية الأولى، وإعلان الهدنة، وكانت هذه الجمعية تعقد اجتماعاتها بدار الشيخ الطاهر طريفة قرب سيدي سعادة...".

- والشيخ محمد الصادق بسيّس رحمه الله (ت1978م) الكاتب الأديب المفكّر. "انتسب إلى الحزب الحرّ الدستوري الجديد في مطلع شبابه وعرف بنشاطه في خدمته وخطبه في اجتماعاته فألقي القبض عليه بعد حوادث 9 أفريل 1938 وأودع السجن. وكان معروفا بالدفاع المتحمّس عن قضية فلسطين منذ شبابه الباكر، كاتبا وخطيبا حتى عرف بالشيخ الفلسطيني... وهو ذو نشاط دائب متواصل، فقد كتب في الصحف التونسية منذ سنة 1930 في الشؤون الاجتماعية والثقافية... وكتب في القضايا الإسلامية وخاض معارك قلمية مع المنحرفين عن المنهج الإسلامي...".

- والشيخ محمد الصالح النيفر رحمه الله (ت1993م)، وهو "فقيه، داعية، من علماء الصحوة الإسلامية"، ويعدّ الأب الروحي للتيّار السياسي الإسلامي في تونس. ناضل ضدّ الاستعمار الفرنسي، وكافح القمع العلماني البورقيبي، وكان العضو المؤسّس لجمعيّة "الشبّان المسلمين" التي كانت موجهة لتأطير الشباب وتوجيه مساره في نضاله ضدّ الاستعمار الفرنسي بكلّ أبعاده الثقافية والحضارية والسياسية، و"كان يواكب تطورات الساحة الفكرية والسياسية ويناقش معظم القضايا المطروحة".

-والشيخمحمد الفاضل ابن عاشور رحمه الله (ت1970م) الذي قدّمه محمد محفوظ في تراجمه بقوله: "أحد الأئمة الأعلام في تاريخ تونس المعاصر ومن أعلام الفكر الإسلامي الحديث، الموسوعي الثقافة، والخطيب اللامع، والسياسي المحنّك". فهذا الشيخ الزيتوني، كان يحمل رؤية سياسية تقوم على "وجوب إحياء الخلافة من جديد على مراحل". وقد خاض ميدان السياسة عبر العمل النقابي، وعبر الانخراط في الحزب القوي الذي كان في زمنه، وهو الحزب الحرّ الدستوري الجديد، محاولا تقويم اعوجاجه وتصحيح مساره بإعادة ربطه بالإسلام المعبّر عن ثقافة البلد وحضارته، ولكنّه خسر الصراع؛ ففصل من الحزب، واتّهم مع والده الشيخ الطاهر بالخيانة وخدمة الاستعمار؛ "الأمر الذي دفع الشيخ محمد الفاضل وجماعة من علماء الزيتونة لليأس من صلاحية الحزب الدستوري الجديد والاتحاد العام التونسي للشغل، كإطار للعمل السياسي الوطني، وإلى التفكير جدّيا والعمل سريا في عام 1948 قصد إيجاد تنظيم آخر، يستجيب لخصوصياتهم الفكرية العربية الإسلامية، ومبادئهم التي تعتبر أنّ السياسة أخلاق أو لا تكون، وأنّ شرف الغاية من شرف الوسيلة. وقد كشفت مصالح الأمن الاستعمارية أمر هذا التنظيم، وأشارت الى محمد الشاذلي بن القاضي، صديق الشيخ محمد الفاضل، باعتباره أحد مؤسّسيه، ولم يتوصل الى اليوم أحد الى كشف أسماء بقية أعضائه، لكنّ الأستاذ حسن المناعي أفاد أنّه وقف على مسودّات الوثيقة الجامعة للقانون الأساسي لذلك التنظيم بخطّ الشيخ محمد الفاضل نفسه. ونحن نلاحظ من خلال تأملنا في الوثيقة المعنية أنّها تضمّنت النّواحي القانونية للجانب التنظيمي لجمعية سريّة أطلق عليها اسم "الاتحاد الدستوري الإسلامي" ، وكذلك الجانب الدستوري لمشروع دولة إسلامية كان مؤسسو الجمعية المذكورة يحلمون بتحقيقه في تونس، ليكون بديلا معاصرا قادرا على أن يعمّ البلاد الإسلامية كلّها، ابتداء بالأقطار المغاربية، وصولا إلى قيام الجامعة الإسلامية التي تعمّ العالم الاسلامي كلّه".

هذا تاريخنا يشهد بأنّ علماء الزيتونة كانوا ساسة يهتمون بأمر المسلمين ويرعون شؤونهم ويدافعون عن قضايا الإسلام السياسية، فكيف تغيّر الحال وأصبح اشتغال العلماء بالسياسة من بدع الزمان كما يروّج له دعاة اللائكية. فأين هم من تاريخ أمّتهم ؟

ينظر: «صفوة الاعتبار» لمحمد بيرم الخامس، ج2 ص14
«إتحاف أهل الزمان»، ج4 ص248
«صفوة الاعتبار»، ج2 ص14
ينظر «تراجم المؤلفين التونسيين»، ج5 ص82-79
السابق، ج3 ص181
السابق، ج3 ص138
السابق، ج1 ص99-98
ينظر كتاب: «من رواد الصحوة الإسلامية في تونس والجزائر ج1: الشيخ محمد الصالح النيفر مسيرة نضال»، لاروى النيفر، ففيه مسيرته السياسية النضالية. وينظر: «تتمة الأعلام للزركلي»، لمحمد خير رمضان يوسف، ج2ص172 دار ابن حزم- بيروت، ط2 سنة 2002م. وينظر أيضا: «المعارضة التونسية».

«تراجم المؤلفين التونسيين»، ج3 ص310
ينظر: «ذكريات طالب زيتوني»، ص160
وهذا يعني أنّ الشيخ الفاضل ابن عاشور أدرك أهمية تأسيس حزب إسلامي، ولعلّه يكون أوّل من أسّس حزبا في تونس يقوم على رؤية إسلامية غايته قيام دولة إسلامية. وينظر: «الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور : مسيرته العلمية و الإصلاحية»، للدكتور حسن المناعي، مركز النشر الجامعي، منوبة 2010م، ففيه تفاصيل مهمّة وقيّمة.
عن مقال: «الشيخ محمد الفاضل بن عاشور والحركة الوطنية من 1943 إلى 1953»، ج2 «الشيخ محمد الفاضل بن عاشور في ذروة نشاطه السياسي»لعلي الزيدي. نشره موقع: www.turess.com/echaab/9819

حتمية التفكير خارج المنظومة الرأسمالية لإيجاد نظام رعاية صحية تسوده رعاية الشؤون والمسؤولية

غادة عبد الجبار - السودان

الخبر:

دفع خمسة مديري إدارات بوزارة الصحة الاتحادية باستقالاتهم لوزير الصحة يوم الثلاثاء 2020/5/12م، وهم مدير الإدارة العامة للجودة، ومدير إدارة الموارد البشرية، ومدير إدارة الرعاية الصحية الأولية، ومدير إدارة التخطيط والسياسات ونائب مدير إدارة الطوارئ، وعزا المديرون استقالاتهم إلى عدم المؤسسية في اتخاذ القرار وغياب المشورة، مما أسفر عن تخبط في كثير من القرارات التي اتخذت بشكل أحادي دون الرجوع لفريق الإدارة العليا وبلا اعتبار لدوره الاستشاري. (الجزيرة نت 12 ماي 2020).

التعليق:

استبشر أهل السودان بعد الثورة بحل كل مشاكلهم بوضع الرجل المناسب في المكان المناسب وقد تم اختيار وزير الصحة بعناية حسب مؤهلاته فقد حصل على منحة فولبرايت للدراسات العليا، وحصل على شهادة الماجستير في الصحة العامة، وحاز على شهادة البكالوريوس في الطب والجراحة من جامعة الخرطوم، وأيضا حصل على جائزة الصحة العلمية لأفضل مدير في الإقليم الأفريقي، كما أن لديه خبرة واسعة في إدارة البرامج الصحية والتنموية وإجراء البحوث في البلدان الصناعية وتقديم الاستشارات الفنية وأيضا إجراء البحوث في البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل.

وانتشر الوباء في ولايات السودان الـ18 بعد دخول ولاية النيل الأزرق على خط المواجهة وتعاني جميع ولايات السودان من نقص في معينات الوقاية، كما تعاني المناطق الطرفية من نقص حاد في الكوادر الطبية، وهنالك نقص في دور الإيواء ومراكز العزل يتم سده عن طريق المبادرات الطوعية وبعض التبرعات من الشركات.

وكان السبب الأساسي في انتشار المرض هو عدم إغلاق المنافذ البرية والبحرية والجوية في السودان إلا بعد أسابيع مضت من دخول المرض رغم المناشدات المتكررة من جهات عديدة، ما يضع وزير الصحة وحكومته في موضع المتهم الأول لدخول المرض لعدم إسراعهم في تقفيل المطار والقيام بالاحتياطات اللازمة.

ورغم تكهنات الوزير بالمقدرة على مجابهة الوباء بزعمه أنهم تمكنوا من إزاحة ما هو أخطر من كورونا، ويقصد البشير، إلا أن عدد حالات الإصابة الكلي بوباء كورونا يرتفع منذ بداية الوباء حتى اليوم إلى 1661 حالة، متضمنة 80 وفاة.

وقد أعلن عن أول حالة إصابة بفيروس كورونا المستجد في مطلع شهر آذار/مارس الماضي، وكان هذا بمثابة جرس إنذار لوزارة الصحة لتستعد مبكراً من وضع الخطط لمجابهة الفيروس بجانب توفير ما يحتاجه الكادر الطبي وكذلك المريض من مستلزمات طبية وأجهزة تنفس صناعي وغيرها من الضروريات، فوقفت الحكومة السودانية مكتوفة الأيدي تنظر إلى تسلل كورونا إلى البلاد بإصابة العشرات وحصد الأرواح.

وضع وزير الصحة بعد أن مضت الأشهر على انتشار كورونا في السودان بأن فجوة السودان من التمويل الصحي لمواجهة فيروس كورونا المستجد تقدر بـ153 مليون دولار ليعود بالسودان إلى استجداء الدعم الخارجي، لتمد مفوضية التعاون الدولي في الاتحاد الأوروبي يدها بدعم الصحة الاتحادية في السودان بمبلغ 80 مليون يورو، و2 مليون دولار مقدمة من برامج الأمم المتحدة بالسودان وبعثة اليوناميد، بينما قدم صندوق أبو ظبي للتنمية مجموعة من المساعدات الدوائية والمستلزمات الطبية لدعم القطاع الصحي في السودان، بقيمة إجمالية تبلغ 75 مليون درهم لمساعدة وزارة الصحة السودانية في التصدي لانتشار الوباء في البلاد.

رغم ذلك لم توفر أبسط المقومات التي تحد من تفشي الفيروس كالكمامات والمعقمات، ولم تقم السلطات بتوفيرها وتوزيعها إلى الناس رغم الدعم الخارجي.

وعند فرض الحظر اتخذ وزير الصحة قرار إغلاق المستشفيات في سابقة خطيرة وغير مدروسة مما أدى لأزمة صحية أودت بحياة عدد من المصابين بالأمراض المزمنة في الإسعافات المتجولة دون أن يجدوا من يسعفهم مما اضطر الوزارة للتراجع عن إغلاق المستشفيات قبل يومين.

إن عقلية الحكومة في التعامل مع وباء كورونا هي العقلية الرأسمالية البغيضة نفسها التي لا تقيم وزناً لحرمة الأنفس، مما يوجب التفكير خارج هذه المنظومة الفاسدة لإيجاد نظام رعاية صحية تسوده رعاية الشؤون والمسؤولية عن أرواح البشر في دولة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة القائمة قريباً بإذن الله.

توقّع جائحة الجوع مصاحب لوباء كورونا العواقب الحتمية لنظام عالمي رأسمالي

مترجم

د. نسرين نواز
مديرة القسم النسائي في المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

الخبر:

في الخامس من ماي، ذكرت وسائل الإعلام أن مدير الشؤون الإنسانية في الأمم المتحدة، مارك لوكوك، حذر من أن عدد الأشخاص الذين يتضورون جوعاً حتى الموت يمكن أن يتضاعف بحلول نهاية العام بسبب التداعيات الاقتصادية لإدارة جائحة فيروس كورونا من جانب الحكومات في جميع أنحاء العالم. وفي أفريل، حذر تقرير لبرنامج الغذاء العالمي التابع للأمم المتحدة من أن العالم يواجه "جائحة الجوع" بسبب الأزمة، مع احتمال المجاعات في ثلاثين دولة يمكن أن تضاعف عدد الأشخاص الذين يعانون من الجوع الحاد، ودفع أكثر من ربع مليار شخص (265 مليوناً) إلى حافة المجاعة. وصرح مدير برنامج الأغذية العالمي، ديفيد بيسلي، بأن العالم قد يواجه مجاعات متعددة "ذات أبعاد كتابية في غضون بضعة أشهر قصيرة" وأن "هناك خطراً حقيقياً من احتمال وفاة عدد أكبر من الناس من التأثير الاقتصادي لكوفيد 19 أكثر من الفيروس بحد ذاته". وقد ردد كلماته خيرت تجوسيم، نائب الرئيس الإقليمي لشرق أفريقيا في لجنة الإنقاذ الدولية، الذي صرح بأن آثار إجراءات الإغلاق "قد تسبب معاناة أكثر من المرض نفسه". وقد منعت عمليات الإغلاق الوطنية المفروضة على مختلف السكان قدرة الناس على شراء السلع الأساسية، وجففت العمل وتسببت في خسارة مفاجئة لدخل الملايين الذين كانوا يعيشون بالفعل عن طريق الكسب اليومي. كما أن لديها إمكانات عالية لتعطيل الإنتاج الزراعي والتسبب في مشاكل في نقل الأغذية إلى الأسواق.

من بين البلدان العشرة التي تم تحديدها على أنها معرضة بشكل خاص لخطر المجاعة بسبب سوء إدارة الأزمة، كان نصفها في البلاد الإسلامية وهي: اليمن وأفغانستان والسودان وسوريا ونيجيريا. في لبنان، تحدى الناس في طرابلس أفقر مدنها، إجراءات الإغلاق في وقت سابق من هذا الشهر، بسبب الجوع الذي يستعر في أحيائها، مع حشود ضخمة تضرب البنوك بسبب الغضب الشديد ضد الحكومة بسبب إدارتها الإجرامية للاقتصاد والوباء. وكتب صحفي من صحيفة "إندبندنت" البريطانية التي تغطي الأحداث في البلاد، "هنا في أفقر أحياء ثاني أكبر مدينة في لبنان، تأتي إمكانية الإصابة بفيروس كورونا في المرتبة الثانية بعد التأكد من المجاعة".

التعليق:

إن هذه المجاعات التي هي من صنع الإنسان والناجمة عن إجراءات إغلاق كوفيد 19 التي تفرضها الحكومات، تضخم ببساطة المشاكل الاقتصادية الأليمة التي كانت موجودة بالفعل في ظل النظام الرأسمالي الكارثي الذي يتم تنفيذه داخل الدول في جميع أنحاء العالم. حتى قبل هذا الوباء، كانت أزمة الجوع تجتاح العالم بالفعل. فوفقاً لوكالة الإغاثة الدولية ميرسي، يموت 9 مليون شخص من الجوع كل عام (أي ما يقرب من 25000 شخص كل يوم) - أكثر من عدد الوفيات بسبب الإيدز والملاريا والسل مجتمعة. وذكرت الوكالة أيضا أن واحداً من كل تسعة أشخاص في العالم ينامون جوعى كل ليلة. ويعاني 20٪ من الأطفال حول العالم من نقص التغذية؛ وكل 10 ثوان يموت طفل من الجوع. ومع ذلك، تنص ميرسي أيضاً على أن هناك 17٪ من الغذاء المتاح لكل شخص على مستوى العالم عما كان عليه قبل 30 عاماً، وإذا تم توزيعه بالتساوي سيكون كافياً لكل شخص على قيد الحياة اليوم للحصول على سعرات حرارية أكثر من الحد الأدنى المطلوب للصحة المناسبة - تسليط الضوء على فائض الطعام بدلاً من النقص في العالم. هذا المستوى الإجرامي من المجاعة العالمية هو ببساطة ثمرة سامة أخرى للرأسمالية وعدم المساواة الهائلة التي يخلقها في الوصول إلى الثروة والموارد الأخرى، بما في ذلك الغذاء - بين الدول وداخلها. كيف يمكن أن يكون على سبيل المثال، أنه في نيجيريا أكبر اقتصاد في أفريقيا وأكبر مصدر للنفط في أفريقيا وحيث 40٪ تقريباً من مساحة أراضيها هي أرض صالحة للزراعة - أن 40٪ من سكانها يعيشون تحت خط الفقر، ويعيشون على أقل من دولار واحد في اليوم (بحسب المكتب الوطني للإحصاء)؟ إنها نتيجة لعقود من السياسات الرأسمالية المعيبة وكذلك الفساد المستشري الذي قادها إلى أن تصبح واحدة من أفضل الدول في العالم المعرضة للمجاعة. كل هذا دليل بما فيه الكفاية على الطبيعة السيئة للنظام الرأسمالي الذي يدمر الاقتصاد ويفقر السكان ولا يصلح للغرض فيما يتعلق بحكم الإنسانية.

علاوة على ذلك، كانت إجراءات الإغلاق الشاملة المفروضة داخل بلادنا الإسلامية نتيجة لمحاولة يائسة لمنع الإفراط في خدمات الرعاية الصحية المتداعية التي عانت عقوداً من نقص التمويل المزمن، مرة أخرى بسبب اقتصاداتها الرأسمالية المعيبة وعدم مبالاة الأنظمة غير الإسلامية المتعاقبة لاحتياجات شعوبهم. تجاهلت هذه الحكومات تماماً التأثير الكارثي الذي ستحدثه مثل هذه القيود الواسعة على شعوبها، واختاروا بدلاً من ذلك "نسخ ولصق" استجابة للدول الرأسمالية الغربية التي أغرقت أيضاً ملايين رعاياها في الجوع والكارثة المالية، أو اتبعت نصيحة منظمة الصحة العالمية بشكل أعمى، وهي مؤسسة ولدت أيضاً من رحم نظام عالمي رأسمالي. لقد فشلوا بشكل فادح في تقييم الآثار الواسعة النطاق على السكان أو اتخاذ خطوات للتخفيف بشكل فعال من الآثار الاقتصادية المعوقة عليهم.

أيها المسلمون! إلى متى سنتبع المسار الرأسمالي الذي يؤدي إلى لا مكان سوى الكارثة؟ إلى متى سنقبل بهذه الأنظمة الفاسدة والمفلسة فكريا التي لا تهتم برفاهنا كي تحكمنا؟ وإلى متى سنفشل في رؤية أن خلاصنا من الظلم والمعاناة لا يكمن إلا في إعادة تأسيس نظام الله، الخلافة على منهاج النبوة، الذي يجسد وحده المبادئ والقوانين السليمة لحكم الجنس البشري بنجاح لأنه من عند العليم الحكيم. يقول الله سبحانه وتعالى: [ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ] [الجاثية: 18]. في حين إن الخلافة لا تزال غائبة عن بلادنا، فإن أمتنا والبشرية، لن تعرف سوى الاضطهاد والمعاناة. يقول الله سبحانه وتعالى: [فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى]. [طه: 124-123]

حماس والأزهر يبتعدان بعقول الناس عن الحل الحقيقي والوحيد لقضية فلسطين

سعيد فضل - مصر

الخبر:

ذكرت الجزيرة على موقعها الأحد 2020/5/10م، دعوة موسى أبو مرزوق، عضو المكتب السياسي لحركة «حماس»، السبت، إلى صياغة برنامج وطني فلسطيني لمواجهة مشروع ضم كيان يهود لمستوطنات الضفة الغربية، ودعا أبو مرزوق منظمة التحرير إلى إنهاء الاتفاقيات الموقعة مع كيان يهود وسحب الاعتراف به، ولو أدى ذلك إلى رحيل بعض القيادات في السلطة الفلسطينية إلى الخارج، مؤكدا ضرورة «صياغة برنامج وطني قاعدته الأساسية المقاومة وتعبئة الشعب الفلسطيني لمواجهة المخططات التي تستهدف قضيتنا وعدم الاستسلام مهما كان الثمن»، كما طالب بالتحرك الفلسطيني دوليا لإفشال خطة الضم اليهودية والاستعانة بكل المنظمات الحقوقية والقانونية والمحاكم الدولية لإنهاء هذا المخطط.

وفي مصر، دعت مشيخة الأزهر الشريف، المجتمع الدولي إلى تحمل مسؤوليته تجاه القضية الفلسطينية، والتصدي بقرارات حاسمة لوقف «عبث» كيان يهود بأراضي وحقوق فلسطين، وقال الأزهر، في بيان، السبت، إنه يدين «قرارات مصادقة الكيان الصهيوني على إقامة مشروع استيطاني جديد في البلدة القديمة في مدينة الخليل، ومصادرة أراضيها لإنشاء طريق خاصة لتسهيل اقتحام الحرم الإبراهيمي ومواصلة تهويده».

التعليق:

حركات المقاومة الفلسطينية وعلى رأسها حركتا فتح وحماس لا تعمل لتحرير فلسطين ولا لحل قضيتها وإنما لتمييعها والتنازل عنها وتسليم كافة أراضي فلسطين ليهود، والابتعاد بالناس عن الحل الحقيقي وهو تحريك الجيوش لتحرير كامل أرض فلسطين المغتصبة، هذا ما يفهم من واقع فعالهم ومن تسلسل الأحداث منذ بدء وجودهم، فهم يتحملون العبء المنوط أصلا بتلك الجيوش، فلا تصبح الجيوش مطالبة أمام الأمة بتحرير مقدساتها، ثم يتنازلون عنها جزءا فجزء من خلال اتفاقيات تتم وفق ما يريده المغتصب الذي لا يلتزم بها أصلا، حتى إذا خالف بنودها سارعوا لخطاب المجتمع الدولي شريك المغتصب في جرمه والذي هدم دولتنا وقسم أمتنا وبعثر شتاتنا.

ثم يكمل الأزهر المسرحية على اعتبار كونه ممثلا للمسلمين فيوجه خطابه بدوره للمجتمع الدولي مستنكرا وكأن هذا المجتمع الدولي لا يتقاتل على نفط ليبيا وثروات اليمن وكأنه لم يقتل أهل فلسطين سابقا ويسلمهم ليهود لقمة سائغة، وكأنه ليس هو الذي يقتل أهل الشام ويدعم قاتليهم!!

إن أرض فلسطين هي أرض خراجية تعود رقبتها للأمة ولا يجوز التنازل عن شبر واحد منها ليهود ولا بأي ثمن وقضيتها ليست قضية أهل فلسطين وحدهم ولا هي قضية خاصة فقط بفتح وحماس ولا حتى بالأزهر وشيخه الذي يأتمر بأمر السيسي عميل أمريكا، بل هي قضية كل الأمة وواجب تحريرها والدفاع عنها يقع على كل الأمة، وخاصة جيوش دول الطوق وعلى رأسها مصر التي يخاطب شيخها المجتمع الدولي الذي سلمها ليهود منذ البدء، ورحم الله سلطان المسلمين وخليفتهم عبد الحميد القائل عندما عرضت عليه يهود شراء فلسطين «انصحوا الدكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع فإني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين، فهي ليست ملك يميني، بل ملك الأمة الإسلامية، ولقد جاهد شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه، فليحتفظ اليهود بملايينهم، وإذا مزقت دولة الخلافة يوما فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن، أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت من دولة الخلافة وهذا أمر لا يكون. إني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة».

إن واجب المسلمين اليوم وعلى رأسهم العلماء والحركات هو خطاب تلك الجيوش وتحريضها وتحريكها من ثكناتها لتوجه سلاحها تجاه يهود كما يجب أن يكون عليه الحال لا أن تكون بردا وسلاما على يهود ونارا حارقة لشعوب الأمة تحرقهم وتدوسهم بالمجنزرات كما حدث في رابعة والنهضة وكما يحدث الآن في الشام التي يذبح أهلها من الوريد إلى الوريد إلا أن يقولوا ربنا الله!

إن من يوجه خطابه للمجتمع الدولي ويبتعد عن خطاب جيوش الأمة هو خائن عميل علم ذلك أو جهل، فالخطاب الصحيح الوحيد هو خطاب تلك الجيوش لتقوم بما أوجبه الله عليها من حفظ للأمة وعقيدتها ومقدساتها وتوحيدها في دولة واحدة يحكمها حاكم واحد: خلافة راشدة على منهاج النبوة، وهو ما يقلق الغرب من خطاب الجيوش الذي لا يكاد يطلقه في الأمة غير حزب التحرير الذي لن يمل الخطاب وسيستمر في النداء حتى يهيئ الله له أنصارا يقيمون معه الدولة التي تطبق الإسلام وتقتلع كيان يهود من جذوره وتقتلع حدود سايكس بيكو التي حولت بلادنا لأقفاص وحظائر يحكمها نواطير أسموا أنفسهم حكاما، ولخطورة هذا الخطاب على الغرب وعملائه من الحكام وعلى نظامه الرأسمالي العالمي يوعز لعملائه بخطاب يوجه الأمة نحوه ونحو إطار المجتمع الدولي الذي أسقط دولتنا وقسم أمتنا، وقوانينه التي وضعت لتكرس تقسيم الأمة وتمنع وحدتها وقيام دولتها مرة أخرى، ولهذا فأي حلول تأتي من الغرب هي سم زعاف لا يجوز قبولها فضلا عن المطالبة بها والتوجه بالخطاب للمجتمع الدولي الموغل في دمائنا ليكون حلا لقضايانا.

إن الأمة اليوم ليست بحاجة للمجتمع الدولي ولا قوانينه بل هي بحاجة للانعتاق من ربقة تبعيته التي تخنقها وتعيق نهضتها، وتمنعها من استعادة عزها: دولة واحدة خلافة راشدة على منهاج النبوة.

الأمة في حاجة لمن يبسط لها يده موجها رائدا لا يكذبها ولا يسلمها لعدوها بل يقودها بالإسلام نحو اقتعاد مكانتها التي هيأها الله لها لتخرج من شاء من عباده من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، في دولة تطبق الإسلام عليهم كاملا وتحمله بهم للعالم فتحفظ عليهم حقوقهم وأرضهم وتصون أعراضهم وتكفل رعايتهم بأحكام الإسلام الضامنة للعدل والبر للناس كافة، دولة هدى ونور: خلافة راشدة على منهاج النبوة، لم يعد بيننا وبينها إلا أن يخرج من هذه الجيوش رجل رشيد يعيد سيرة الأنصار ويقتلع الأنظمة العميلة ويسلم الحكم للمخلصين من أبناء الأمة ليقيموها فيعم خيرها الشجر والحجر قبل البشر، اللهم عجل بها واجعلنا من جنودها وشهودها...

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ]

حق العودة في الذكرى الثانية والسبعين للنكبة

م. يوسف سلامة ألمانيا

الخبر:

في السادس من شهر رجب عام 1367 للهجرة، الموافق 15 أيار/مايو عام 1948 أعلنت عصابات يهود في فلسطين إقامة دولة لليهود بعد انسحاب القوات البريطانية من فلسطين.

التعليق:

يحيي أبناء فلسطين هذه الذكرى الأليمة في كل عام منذ عام 1949 فيما يسمى ذكرى النكبة التي أدت إلى تهجير أهل فلسطين وتشريدهم ومن ثم توطينهم في مخيمات وملاجئ في البلاد المجاورة، لبنان وسوريا والأردن ومصر والعراق وفيما سُمي الضفة الغربية التي كانت تحت قيادة الدولة الحديثة آنذاك التي أطلق عليها مملكة شرق الأردن فيما عرف من بعد بالمملكة الأردنية الهاشمية، وفي قطاع غزة، وهذا التاريخ غني عن التعريف وأحداثه غنية عن التذكير، ولكن الذي ينبغي الوقوف عليه هو أعراض هذه النكبة وما آلت إليه الأمور من حيث النظرة لما يسمى قضية فلسطين.

فالناس؛ سواء من أهل فلسطين أو غيرها، ينقسمون من حيث النظرة إلى القضية إلى أقسام ثلاثة.

-1 العملاء والمطبعون ومنهم البراغماتيون، وهم الذين يرون واقع الاحتلال ويعتبرونه مع مرور الزمن جزءا من المنطقة جغرافيا وسياسيا ويطالبون بالتعايش مع المحتل الغاصب، والحمد لله أنهم قلة من المجتمع منبوذة، ويتصدرهم الطبقة السياسية العميلة، ويتبعهم الأبواق المأجورة من الإعلاميين ومن يسمون أنفسهم الأدباء من العلمانيين المضبوعين بالثقافة الغربية.

-2 والقسم الثاني هم غالبة العامة من الناس الذين تحركهم المشاعر، فهم لا يزالون يعتبرون أن يهود محتلون ومغتصبون، ولكن هذه الفئة سلّمت قيادتها أو رضيت وسكتت عن قيادة المنتفعين والعملاء، فسَهُل استغلال مشاعر هؤلاء أو أغلبهم من الفئة الأولى. وحيث إنهم لم يكن لديهم فكرة صحيحة وطريقة سليمة للتغيير، أدى هذا الجهل إلى انخفاض مستوى المطالب مع مرور الزمن، حتى أصبحوا يكتفون بمقولة حق العودة، وإعادة المهجرين، والتفاوض على أراض والقبول بالحلول المفروضة عليهم بالمكر والدهاء الذي يمارس ببشاعة وفظاعة لتركيعهم وإكراههم على القبول بما يطرح من حلول سواء ما سموها مرحلية أو نهائية، فكلها يصب في مصلحة العدو الكافر الغاصب. ومنهم من تم ترويضه حتى بات مستعدا للتعايش مع الغاصب بشروط ارتجالية، أو المشاركة في حكومة ديمقراطية، شرط أن لا تكون الغلبة فيها لدين أو لطائفة، ويعتبر أن هذا الحقَ مكتسب ولا يصح التراجع عنه، ويتم طرحه كأحد الحلول، وعلى غرارها ما يسمى بحل الدولتين، بحيث يعطى يهود الجزء الأكبر من فلسطين، ويعطى أهل فلسطين دولة على بقع متفرقة من أراضي فلسطين المحتلة. فبعد أن كان المطلب إبان انطلاق المنظمات لتحرير فلسطين أو قبلها هو تحرير كامل التراب من البحر إلى النهر، أصبحت المطالب لا تزيد عن كيان ودولة مسخ حارس لدولة يهود على تسعة أعشار الأراضي المقدسة فلسطين.

-3 وأما الفئة الثالثة فهي تلك الفئة الثابتة على الحق الموروث منذ فتح جيوش المسلمين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب لهذه البلاد التي أصبحت بلادا إسلامية فلا تسقط قدسية الأرض ولا ملكيتها للمسلمين بالبراغماتية ولا بالتقادم، ولا تنفك عنها على مدى الدهر صفة الأرض الإسلامية المقدسة التي يُبذل في سبيل تحريرها الغالي والنفيس. هذه الفئة هي الفئة المبدئية التي تحمل الإسلام رسالة هدى ونور للعالمين، تعمل لقيام دولة الخلافة الثانية على منهاج النبوة وتبشر بها، تلك الدولة التي ستسير الجيش الإسلامي لتحرير فلسطين، ومن وراء فلسطين أختها الأندلس المغتصبة، وبقية بلاد الإسلام التي حكمها الكفر وتجبر فيها الظالمون، بل وستحاصر روما وتفتحها إن شاء الله كما بشر بذلك الحبيب المصطفى e.

فإلى العمل مع هذه الفئة المنصورة بإذن الله ندعوكم أيها المسلمون، فإنه لا سبيل لكم إلا هذه السبيل التي أرشدكم إليها رسول الله عليه الصلاة والسلام. فإن إقامة الدولة هو مفتاح الحل وبابه ومصراعه، ولا سبيل غير ذلك إلا أن يشاء الله.

والله ولي التوفيق وهو الناصر والقاهر فوق عباده، وهو وليكم [فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ].

في زمن سقوط الأقنعة

حامد عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

نحن الآن في زمن سقوط الأقنعة؛ ولعل ما أصاب العالم من وباء كورونا، وما سببه من انكشاف عوار النظام الرأسمالي الذي يحكم العالم اليوم، هو ما عجل في سقوط تلك الأقنعة. فما يعيشه العالم اليوم في ظل انتشار وباء كورونا وفشل نظام الرعاية الصحية في أغلب دول العالم، أبرز الحديث عن ضرورة البحث الحثيث عن بديل للنظام الرأسمالي الحاكم اليوم.

لقد سقط القناع عن كل الأفكار العفنة التي تولدت بعد سقوط دولة الخلافة، والتي كان للغرب دورٌ كبير في نشرها بين أبناء المسلمين، كأفكار الديمقراطية والحريات والوطنية والقومية. فمن قبل كانت أمريكا قد أعلنت حرباً صليبية على المسلمين جميعاً، بدأت بأفغانستان ثم من بعدها العراق، ثم ما لبثت أن أعلنت أمريكا حربا عالمية ضد الإرهاب، وما هي إلا حرب على الإسلام وأفكاره ومفاهيمه وأنظمته، وحرب على حملة الدعوة والعاملين على إعادة الإسلام إلى الحكم من خلال إقامة الخلافة واستئناف الحياة الإسلامية. وقد أدرك المسلمون شراسة هذه الحرب وأن دول الكفر جميعاً قد رمتهم عن قوس واحدة، وأعلنت العداء للمسلمين الذين وصمتهم بالإرهاب، وتداعت عليهم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها.

سقط قناع الديمقراطية وانكشف زيفها وهشاشتها، فقد داس عليها السيسي بانقلابه العسكري وتلقى دعما لا نظير له من دول الغرب التي ترفع شعار الديمقراطية الزائف هذا، كما دعمت دول الغرب الديمقراطية نظام بشار أسد المجرم، وهو نظام ديكتاتوري رفض ثورة شعبية عليه، كان الأولى بدول الغرب التي تدعي دعمها للديمقراطية والحرية أن تقف مع الشعب الثائر ضد نظام ديكتاتوري مجرم، ولكنها لم تفعل وإن ادعت غير ذلك. لقد انهارت ديمقراطية المنظومة الغربية السياسية الزائفة تباعاً. فبعد مشاهد غوانتانامو وأبو غريب والمعتقلات الأمريكية الشريرة، والتمييز العنصري، إضافة إلى حرب الحجاب بلا هوادة في فرنسا وفي غيرها من البلاد الأوروبية، وملاحقة وطرد وحظر كل من يمارس العمل السياسي الفكري على أساس الإسلام دون اللجوء للعنف، كما هو شأن ألمانيا والدنمارك وأستراليا وبريطانيا مع حزب التحرير، فبعد كل ذلك وغيره، نستطيع أن نقول إن أفول نجم الديمقراطية بات أمراً حتمياً ومسألة وقت لا أكثر، وإن البشرية أمام تحول قادم لا محالة، بخاصة مع تصاعد درجة الظلم الذي تمارسه الدول الكبرى وأذنابها في العالم بشكل مقزز وعلى مرأى ومسمع الجميع باسم تعزيز الديمقراطية ونشرها ومحاربة (الإرهاب).

سقط القناع عن تلك الأنظمة القائمة في العالم، تلك الأنظمة التي لم يهتز لها جفن وهي ترى دماء أبناء أمتها تهرق في أفغانستان والعراق وفلسطين وسوريا واليمن. لقد انكشفت وضاعة هؤلاء الحكام وخيانتهم لله ولرسوله وللمؤمنين، بعد أن تلطخت أيديهم بدماء أبناء الأمة الذين رفعوا الصوت عاليا لإسقاط تلك الأنظمة العميلة التي نصبها الغرب الكافر على رقاب المسلمين. لقد بات واضحاً أن هؤلاء الحكام الرويبضات المتربعين على كراسي السلطة لا يمكن أن يشعروا بالخزي والندامة والعار لما ألحقوا بأمتهم من ذل وهوان وأنهم يمكن أن يفعلوا أي شيء في سبيل احتفاظهم بكراسيهم.

كما سقط قناع حاولت الأنظمة القائمة في بلاد المسلمين أن تجعله واقعا لا يمكن الفكاك منه، وهو أن تلك الأنظمة العميلة قدر مسلَّم به، لا يمكن الخروج عليها وإسقاطها، وأن الأمة قد استسلمت لقدرها هذا ورضيت العيش في ظل هكذا أنظمة، وأن الأمة قد ماتت والسلام وقد تودع منها، فإذا بالأمة تثور في وجه تلك الأنظمة، ولا تحسب للعواقب أي حساب، فلا الخوف من بطش الأنظمة يلجمها، ولا البراميل المتفجرة ترعبها، ولا التنكيل بحملة الدعوة يثنيها عن الوقوف وبقوة في وجه تلك الأنظمة التي أدركت الأمة خيانتها لله ولرسوله وللمؤمنين. لقد تعرّت تلك الأنظمة وبان عوارها وانكشف زيفها وعمالتها لأعداء الأمة الذين يريدونها أمة ميتة لا روح فيها ولا حركة.

نعم لقد أثبتت الثورات التي هبت جوّالة في بلاد المسلمين، حيوية تلك الأمة وقدرتها على الحركة، وحبها للإسلام ورغبتها الجامحة في العودة للعيش في ظل عدله وأمنه، وعاد لفكرة الخلافة بريقها ورونقها برغم محاولات التشويه التي قام بها أعداء الأمة والخلافة من دول الغرب وأذنابهم في بلاد المسلمين.

سقط القناع عن بعض الحركات الإسلامية التي قضت سنوات طويلة في بناء المستشفيات والمدارس والمساجد على اعتبار أنها خطوات في طريق نهضة الأمة دون أن يركزوا جهودهم، بالإضافة إلى ذلك، في العمل لإقامة الدولة التي تحمي هذه المدارس والمساجد والمستشفيات، تلك الحركات التي رفعت شعار الإسلام الوسطي أو المعتدل، والتي أرادت من خلاله التقرب إلى الغرب عله يرضى عنها ويدعمها، فإذا بها تتلقى ضربات كادت أن تعصف بها، ولم يشفع لها تنازلها عن الكثير من ثوابت الإسلام، ولا انبطاحها أمام أفكار الغرب الفاسدة كالديمقراطية والحريات وغيرهما.

سقط القناع عن أولئك المشايخ الذين باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، وحاولوا إرضاء أمريكا التي لا يمكن أن ترضى عنهم. قال تعالى: [وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ] [البقرة: 120]، وأغضبوا رب العالمين الذي خلقهم، وأنعم عليهم بنعمة الإسلام وحمّلهم أمانة عظيمة، أن يقولوا كلمة الحق ولا يخافوا في الله لومة لائم، وجعلهم ورثة الأنبياء، إلاّ أنهم أبوا أن ينالوا هذه المكانة العظيمة التي أرادها الله لهم فكانوا كأحبار بني إسرائيل (كالحمار يحمل أسفاراً)، انكشف القناع عن أولئك المشايخ – علماء السلاطين – الذين أفتوا بجواز أن يقتل المسلم الأمريكي أخاه المسلم الأفغاني أو العربي استناداً إلى أدلة ما أنزل الله بها من سلطان، والذين انحازوا لحكام يحكمون بغير ما أنزل الله، ضد أمتهم التي ثارت عليهم لخلعهم، بل أجازوا لهؤلاء الحكام قتل أبناء الأمة بدم بارد بعد أن جعلوا من هؤلاء الحكام ولاة أمر شرعيين، ومن أبناء الأمة الثائرين خوارج يجب قتلهم دون أن يرف لهم جفن.

سقط القناع عما أسموه، تضليلاً، عملية السلام، وإذا بنا نرى جميعاً بأم أعيننا السلام في عرف يهود وأمريكا هو الاستسلام والخضوع للهيمنة الأمريكية بعين راضية، والتنازل عن كل المقدسات، والقبول بصفقة ترامب التي أعلنها لإنهاء القضية الفلسطينية، فالأمة اليوم لا تنتظر من حكام المسلمين عربا وعجما حراكا، فقد أدركت الأمة أن هؤلاء الحكام ما هم إلا خدم وعملاء ينفذون ما يملى عليهم من أسيادهم في الغرب الكافر المستعمر ظنا منهم أن هذا سيحفظ لهم عروشهم المهترئة. نعم إن الأمة قد نفضت أيديها من هؤلاء الحكام الذين ما أورثوها إلا ذلا وخنوعا، وإنها تعول على المخلصين من أبنائها في القوات المسلحة الذين لا يرضون بالذل والهوان، وهم يرون كيف أن النظام قد فرط بمقدرات الأمة وأسلم الأمة إلى أعدائها يسومونها سوء العذاب. سقط القناع وانكشف كل هؤلاء المهرولين الذين يسيرون في ركاب أمريكا باعتبارها (الراعي الرسمي) لعملية السلام. ذلك الراعي (النزيه!)، الذي يرى في الدفاع عن كرامة الأمة، والعمل على تحرير الأرض من هؤلاء المغتصبين عملاً إرهابياً، وها هي أمريكا تصنف من تريد في قائمة ما تسميه بالإرهاب. فتجمد الأموال وتعتقل وتقتل وتطالب عملاءها في بلاد المسلمين بمثل ذلك، متناسية ما كانت تتشدق به من أقوال فارغة عن حقوق الإنسان. تطالب الآخرين بالأدلة ولكنها هي لا تقيم وزناً لمن يطالبها بالأدلة، فقد شنت أمريكا حربا ضروسا ضد المسلمين في أفغانستان والعراق دون أن تقدم أدلة في أفغانستان، أو بتزييف الأدلة في حربها ضد العراق.

مطلوب اليوم من المسلمين ألاّ ييأسوا مما يحدث برغم بشاعته فهو بشير خير لهذه الأمة العظيمة. وهذه الحملة الأمريكية على الإسلام والمسلمين هي دليل واضح على أن الإسلام هو الخطر الحقيقي على حضارة الغرب، وإننا رغم إمكانياتنا الضعيفة قادرون على أن نكون نداً لأمريكا والغرب الكافر. والأمة قادرة بإذن الله – فهو معينها وناصرها – أن تقيم الخلافة التي تطبق الإسلام في الداخل والتي ستحمله إلى الخارج رسالة عالمية فيها الخير لكل البشرية التي اصطلت بنار الرأسمالية العفنة التي هي اليوم أقرب إلى الأفول والانهيار.

غزوة بدر الكبرى

إبراهيم سلامة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن ولاه

حين وصل رسول الله ﷺ المدينة المنورة، باشر بإنشاء الدولة الإسلامية لتنظيم شؤون حياة الناس بالشريعة الإسلامية، فأصبح أمان المدينة وسلطانها بيد المسلمين, فهم القادرون على حماية المدينة بأنفسهم وتحكمهم الأنظمة والقوانين المستمدة من عقيدتهم. فشرع ببناء المسجد النبوي، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وأصدر صحيفة المدينة المتضمنة للقانون الأساس للدولة, موضحا فيه حقوق وواجبات رعايا هذه الدولة، ومبيناً المرجعية القانونية لها، وعلاقاتها بمن حولها. وخط سوقاً للمسلمين خاصاً بهم يخضع لأحكام الشريعة الإسلامية، الذي تمنع الربا والغش والغبن والإحتكار وتطفيف الكيل وكنز الذهب والفضة، وتطلب السماحة في البيع والشراء والصدق والأمانة. وباشر رسول الله ﷺ ببناء المسجد النبوي، وجعل فيه مكانا لأهل الصّفة وهم في غالبيتهم من المسلمين الفقراء الأعازب، أسكنهم رسول الله ﷺ في المكان المسقوف من المسجد، والمسجد بيت الله تقام فيه الصلاة ويتعلم المسلمين فيه الإسلام، وتدار منه الدولة، وتعقد فيه مجالس القضاء، وتستقبل فيه الوفود ويندب المسلمين إلى الجهاد وتعقد فيه ألوية الجيش. ثم آخى بين المهاجرين والأنصار أخوة كلها إيثار ومحبة أذابت عصبيات الجاهلية، وأسقطت فوارق النسب واللون والجنس، أساسها الولاء للإسلام وإخلاص الطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم. فكان هذا أول مجتمع يقوم على أواصر العقيدة وإخوة الإيمان وطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ. وكتب كتابا نظم علاقة الدولة الإسلامية الناشئة مع الكيانات اليهودية حول المدينة المنورة، بعلاقات حسن الجوار، فكانت الدولة الإسلامية دولة مبدئية تقوم على العقيدة الإسلامية، سياستها الخارجية قائمة على نشر الإسلام، وسياستها الداخلية قائمة على تطبيق الشريعة الإسلامية في حدود سلطانها بتحقيق العدل والإنصاف بين الناس، وكانت السيادة في الدولة بيد رسول الله ﷺ المتمثلة في الأنظمة والقوانين المستمدة من الكتاب والسنة، والسلطة بيده ﷺ، بمعنى أن تنفيذ القانون وتفعيله بيده، فهو الحاكم والقاضي وقائد الجيش والمتصرف بالمال وبرعاية الناس وتحقيق مصالحهم وتمكينهم من حقوقهم، ويفوض من يراه مناسبا لمساعدته في شؤون الحكم، وحين التحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى، أصبحت السيادة للشرع والسلطان للأمة بمعنى أن الأنظمة والقوانين والأعراف والعادات والمقاييس والقيم التي تنظم وتحكم حياة الناس يجب أن تكون مستمدة ومنبثقة من الكتاب والسنة حصريا، ولا يجوز لأي حاكم مخالفتها وإلا فقد شرعيته، والسلطان للأمة أي أن الأمة تختار من يحكمها بالشريعة الإسلامية وتبايعه بحر إرادتها، وليس له الخروج على أحكام الشريعة، وليس لأحد من المسلمين حق ذاتيا بالحكم ولا صفة ذاتيه يستأثر بها بالحكم دون غيره.

وبعد أن أتم رسول الله ﷺ بناء الدولة الإسلامية، واطمأن إلى صياغة المجتمع بصهره بالعقيدة الإسلامية، ندب المسلمين لأول سرية بعد سبعة أشهر من هجرته ﷺ، وهي سرية سيف البحر بقيادة حمزة ابن عبد المطلب رضي الله عنه، وكان هذا إعلان حمل الدعوة الإسلامية للعالم بالجهاد في سبيل الله لنشر الهداية والرحمة، وتبعتها سرية عبيده بن الحارث، ثم غزوة الأبواء بقيادة رسول الله ﷺ، وتبعتها غزوة بواط وغزوة العشيرة وغزوة سفوان (بدر الصغرى) وكانت هذه الغزوة لملاحقة كرز بن جابر الفهري بعد أن أغار على ابل ومواشي المدينة وهي في مراعيها، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه، ولم يدركه، ثم كانت سرية عبد الله بن جحش التي أراق فيها المسلمين أول دم في سبيل الله، واخذوا أول أسيرين واستولوا على تجارة قريش العائدة من الشام وبأحداث هذه السرية شرع القتال للمسلمين في الشهر الحرام، بقوله تبارك وتعالى (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (217) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) 218 البقرة

يلاحظ من طبيعة الإسلام، أنه بهذه الغزوات انطلق الجهاد في سبيل الله لنشر الإسلام وكانت قريش هي العقبة الكأداء أمام المسلمين وهي تصر على الوقوف بينهم وبين سائر سكان الجزيرة العربية فكان لا بد من استهدافها والتضييق عليها بمهاجمة تجارتها وتهديد أمنها، فزادت حراستها لقوافلها وأخذت تغير طريق قوافلها، وقام رسول الله ﷺ بموادعة القبائل المحيطة بطريق التجارة، فوادع بني ضمره وبني مدلج، ليحاصر قريش ويحرمها من أي معونة قد تقدمها لها هذه القبائل، ويوسع نفوذه في الجزيرة العربية، ويمنع التفكير من مهاجمة المدينة ويدرب المسلمين ويعدهم للجهاد في سبيل الله.

ويمكن القول أن هذه التحركات التي كان يقوم بها رسول الله ﷺ إعداد ومقدمه لغزوة بدر الكبرى، ليضع حدا لقريش لأنها العدو اللدود الذي لا يكن ولا يستكين، وقبائل الجزيرة تنتظر نتيجة صراع قريش مع رسول الله ﷺ، فكان لا بد من غزوة بدر الكبرى .

وحين ننظر اليوم إلى وقائع الإسلام لا ننظر لها كتاريخ وقصص، إنها شواهد وعلامات ومعالم نابضة بالحياة، أمام أعين كل منا حسب يقينه وإيمانه، يتمثلها بواقع حياته يعيش كل دقائقها، يعمل بها ويعمل لها، بمعنى يجب أن نعمل لإستئناف الحياة الإسلامية بإقامة دولة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، كل على قدرته واستطاعته لأن حالنا لا يرضي الله ولا يرضي رسوله ﷺ، ولا يبرئ ذمة أحدنا أمام الله وأمام رسوله ﷺ والله أعلم .

فلما سمع رسول الله ﷺ بعودة أبي سفيان من الشام بعير قريش ندب المسلمين لملاقاة القافلة وقال لهم: (هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها) خرج رسول الله ﷺ ومعه ثلاثة مئة وبضعة عشر رجلا، وسار بإتجاه بدر وحين علم أبو سفيان بمسير رسول الله ﷺ بعث يستنجد قريش وانحرف عن الطريق ونجى، ثم أخبر قريش ان تجارتكم قد نجت فارجعوا، وكان أبو جهل قد عزم الخروج وأبى الرجوع وقال: «لا والله لا نرجع حتى نرد بدرا، فنقيم ثلاثا، فننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونشرب الخمر، وتعزف القيان علينا، فما تزال العرب تهابنا أبدا». وهم تسع مائه وخمسون مقاتل، وهم كما ذكر الله تبارك وتعالى عنهم بقوله: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) 47 الأنفال .

ومضى رسول الله ﷺ حتى إذا كان دون بدر، أتاه الخبر بمسير قريش، فاستشار أصحابه وكان ممن تكلم المقداد بن عمرو فقال: «يارسول الله، امض لأمر الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لنبيها، (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ﷺ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) 24المائده، ولكن إذهب انت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، والذي بعثك بالحق لو سرت إلى برك الغماد لسرنا معك «، ثم قال رسول الله ﷺ (أشيروا علي أيها الناس) وإنما يريد الأنصار رضي الله عنهم وأرضاهم، فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال: كأنك يا رسول الله ﷺ تريدنا، قال: (أجل) فكان مما قاله سعد بن معاذ :» فإنا قد أمنا بك، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق، فأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة، فامضي يا نبي الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه، معك ما بقي رجل، وصل من شئت، واقطع من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وما أخذت من أموالنا أحب إلينا مما تركت، والذي نفسي بيده ما سلكت هذا الطريق قط، ومالي بها من علم، وما نكره أن نلقي عدونا غدا، وإنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء، لعلى الله يريك منا بعض ما تقر به عيناك»، فقال له رسول الله ﷺ خيرا، وقال: (سيروا على بركة الله، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم) ونزل رسول الله ﷺ أدنى بدر واستشار أصحابه في المنزل، فقال الحباب بن المنذر: يا رسول الله ﷺ، هذا المنزل أمنزلا انزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال: (بل هو الرأي والحرب والمكيده) قال: يا رسول الله ﷺ هذا ليس بمنزل إنطلق بنا إلى أدنى بئر إلى القوم، ثم نبني عليها حوضا، ونقذف فيه الآنية فنشرب ونقاتل، ونغور ما سواها من القلب، فقال رسول الله ﷺ يا حباب أشرت بالرأي، ونهض رسول الله ﷺ فنزل على القليب ببدر وفعل ما أشار به الحباب. وبني لرسول الله ﷺ عريش من جريد وقام سعد بن معاذ على باب العريش متوشحا بسيفه، يحرس رسول الله ﷺ .

وأقبلت قريش في الصباح, فلما رآها رسول الله ﷺ تنحدر من الكثيب قال: (اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم احنهم الغداة(.

وكان في معسكر قريش من يرى الرجوع وعدم القتال لمصاب الجميع فوقف عتبه بن ربيعة خطيبا فقال: «يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمدا وسائر العرب، فإن

الله صلى الله عليه وسلم فنزل على القليب ببدر وفعل ما أشار به الحباب. وبني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش من جريد وقام سعد بن معاذ على باب العريش متوشحا بسيفه، يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأقبلت قريش في الصباح, فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تنحدر من الكثيب قال: (اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم احنهم الغداة).

وكان في معسكر قريش من يرى الرجوع وعدم القتال لمصاب الجميع فوقف عتبه بن ربيعة خطيبا فقال: «يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمدا وسائر العرب، فإن أصابوه فذاك الذي أردتم وإن كان غير ذلك الفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون»، لكن أبا جهل رفض ذلك وحرض الناس على الرفض ودارت رحى المعركة، صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة، تزاحف الناس، ودنا بعضهم من بعض، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ألا يحملوا حتى يأمرهم فقال: (إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل) ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوف أصحابه وعاد إلى العريش ومعه ابو بكر الصديق رضي الله عنه وأخذ يدعو ربه ويقول: (اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبدا)، فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه فأتاه أبو بكر ورد عليه ردائه ثم التزمه من ورائه وقال: «يا رسول الله كفاك مناشدتك ربك فانه منجز لك ما وعدك»، ثم خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة رأى خلالها نصر الله ثم انتبه فقال: (ابشر يا أبا بكر أتاك نصر الله) وخرج إلى الناس يحرضهم على القتال وقال: (والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا ادخله الله الجنة)، ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريش ثم قال: (شاهت الوجوه) ثم نفحهم بها، وأمر أصحابه فقال: (شدوا) فكانت هزيمة قريش وقتل الله من قتل من صناديدهم، وأسر من أسر منهم، ولم تصدق قريش خبر هزيمتها، وكان أول من قدم مكة بعد هزيمتها رجل يدعى الحيسمان بن عبد لله الخزاعي، فقالوا ما وراءك قال: قتل عتبه بن ربيعه وشيبه بن ربيعه وأبو الحكم بن هشام وأميه بن خلف وزمعه بن الأسود ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري بن هشام، وذهل الناس لما سمعوا ولم يصدقوا الرجل وظنوا أن به مسا من الجنون وشك صفوان بن أميه - وكان جالسا في الحجر - في قوى الرجل العقلية فقال: أن يعقل هذا فاسألوه عني فقالوا: وما فعل صفوان بن أميه ؟ قال: ها هو ذاك جالس في الحجر وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا.

وقال الله تبارك وتعالى: (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (7) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (8) إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10) (الأنفال، إن النصر والتمكين بيد الله حقا وصدقا وقد نزلت سورة الأنفال في غزوة بدر وغزوة بدر تكاد تكون من أهم معارك الإسلام إن لم تكن أهمها فقد سماها الله تبارك وتعالى:)يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ) اليوم الذي فرق بين الحق والباطل علا الحق وزهق الباطل،

)وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (7) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) المعركة بين الحق والباطل ويريد الله ليحق الحق ويبطل الباطل ويزهقه ويقطع دابر الكافرين ويريد الله أن تعلوا كلمته وتعلوا راية الإسلام ويعز رسوله صلى الله عليه وسلم ويعز دينه والمؤمنين ويمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ويبدلهم بعد خوفهم أمنا يعبدون الله ولا يشركون به شيئا بإقامة دينه وتنفيذ أمره بتنظيم شؤون حياة الناس بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فلا بد من أن يكون للأمة الإسلامية دولة كما أقامها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الدولة تطبق الإسلام وتنشره بالجهاد كما طبقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما نشره، وتعلم أن النصر ليس بالعدد ولا بالعدة وإن كان الإعداد مطلوب ولا بد منه، إنما النصر (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) بصدق إيمان القلوب وثقتها بقوة الله التي لا تقف أمامها أي قوة فانتصر المؤمنين (يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) 41 الأنفال وهم قلة في العدد والعدة ولكنهم في الإيمان قوة وكثرة بمعية الله الواحد الأحد. اليوم مطلوب من المسلمين العمل المخلص الجاد لإستئناف الحياة الإسلامية باقامة الدولة الإسلامية التي أقامها رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة وتوحد المسلمين وترفع راية الإسلام، راية الهداية والرحمة في أرجاء العالم، وتكون كلمة الله هي العلى وهي كذلك، وكلمة الذين كفروا السفلى وهي كذلك، إن اكتفاء المسلمين بالإجتهاد بطاعة الله فرادى لا يبرئ الذمة ويجعلهم يفهمون الإسلام فهما كهنوتيا مغايرا لحقيقة الإسلام ويحرم المسلمين والبشرية من العيش الإسلامي في ظل الشريعة الإسلامية، ويترك الفساد والطاغوت والإستبداد يتحكم في الحياة العامة، ويحارب الإسلام ويمنعه من الحياة.

ربنا اغفر لنا إسرافنا في أمرنا وتب علينا وعافينا واغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء والأموات اللهم اعتق رقابنا ورقاب أبائنا وأمهاتنا من النار، اللهم اجعلنا من عتقاء شهر رمضان وصلي اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه والحمد لله رب العالمين (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ).

وقفات بين يدي الحديث الشريف

ياسين بن يحيى

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: أقبل علينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال:

(يا معشر المهاجرين، خمسٌ إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قطُّ حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم يُنقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًّا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم) رواه ابن ماجه في سننه.

التنزيل على الواقع:

يقول الحقّ تبارك وتعالى في محكم تنزيله: "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" (96) الأعراف، سنن كونية أجراها الله عزّ جلّ على خلقه متعلقة بأعمالهم في هذه الحياة الدنيا وأثارها عليهم لعلهم يتوبون إليه ويرجعون عنها، بيّن بعضها رسول الله من خلال هذا الحديث الشريف، كيف تكون عاقبة اقتراف الزنا والفواحش والمجاهرة بها من ظهور الأمراض والأوبئة التي حلت بالبشرية كالايدز وغيرها من الجوائح الصحية التي لم يعهدها الناس من قبل، الغش في المعاملات وما نتج عنها من ظهور المجاعات واللهفة والفقر رغم تكدس الأموال والإنتاج، تعطيل فريضة الزكاة واللهفة على جمع المال بكل الطرق وما أحدثته في المحيط من تغيرات مناخية وانحباس حراري وجفاف.. ولولا رحمة الله بالبهائم لما أُمطرنا ولما واصلت الحياة دورتها المعتادة، كذلك نقض العقود والعهود فيما بيننا مما أنتج انعدام الثقة والأمان بين المسلمين فاخترقهم الأعداء وتسلطوا عليهم من كل جانب فتداعوا علينا كما يتداعى الأكلة إلى قصعتها رغم أن عدد المسلمين قريب من المليارين، ثم ختم الحديث بعاقبة تعطيل أحكام الله وشريعته الغراء وتطبيق أحكام الكفر كالعلمانية والرأسمالية والديمقراطية ونحوها وما جنته علينا هذه الأنظمة من صراعات بين المسلمين، وحروب عسكرية وسياسية طاحنة واعتقال وتعذيب وإرهاب وهرج ومرج لا يعرف من قتل فيما قتل، ولا يعرف القاتل لماذا قتل...

العلاج:

كما تبين لنا جليا أن سبب هذه البلايا هو البعد عن منهج الله مما أورثنا هذا الضعف والوهن وتسلط الأعداء علينا والشقاق فيما بيننا، لذلك فإن من يحاول لمّ شتات هذه الأمة وجمعها على غير شريعة الإسلام وكلمة التوحيد فإنما يحاول مستحيلاً، يقول الله تعالى: }فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ{ (البقرة: 137)، وهذا الشقاق سيبقى ما بقي الإعراض عن دين الله عز وجل وتحكيم شريعته، حتى يرجع الناس إلى دين ربهم جل وعلا.

ويرشدنا رسول الله إلى العلاج الشافي من هذه الأمراض والرزايا العظام، الذي يكمن في العودة إلى الإسلام كمنهج حياة ونظام حكم، وأن نعضّ عليه ولا نزيغ عنه وإلا فالهلاك، يقول صلى الله عليه وسلم: "قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ".

فالدعوة إلى سنته وسنة الخلفاء من بعده هي الإشارة إلى الحكم بالإسلام، لأن عمل الخلفاء هو الحكم بما أنزل الله ولا يكون تنزيله على واقعنا إلا بالعمل لإقامة الخلافة تاج الفروض، ففي ظلها يظهر الإسلام على الدين كله وتُقام الحدود لتمنع الفواحش من جذورها، وتُفرض الزكاة التي تطفئ غضب الله وتُحمى بيضة الإسلام فتقطع أيدي العابثين والمتآمرين وتجتمع كلمة المسلمين على إمام واحد يحكمهم بكتاب الله وبسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

جاء في حديث الخير والشر الذي رواه الصحابي حذيفة بن اليمان يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل بعد هذا الخير من شر؟ قال: "نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها"، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: "هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا"، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم".

عبد الله أبو ابراهيم - قلقيلية

مراكز الفكر والمؤسسات البحثية الأميركية ودورها في الهيمنة على العالم والحرب على الإسلام والمسلمين (2)

مراكز الأبحاث تستجيب لأجندات الداعمين وتكرس الهيمنة الأميركية على العالم

تكشف نيويورك تايمز أكذوبة حيادية مراكز الأبحاث الأميركية في تقرير مطوّل نشرته في 8/8/2016م (حسب ما أوردته الجزيرة نت) تقول فيه: إن مراكز الأبحاث في الولايات المتحدة التي تحظى دراساتها باهتمام دولي كبير -على أساس أنها دراسات علمية مرموقة- ليست محايدة أو مستقلة كما يتبادر للأذهان، وإن المانحين والمتبرعين يفرضون أجندتهم على نتائج أبحاث هذه المراكز.

وأوردت الصحيفة بتقريرها – القائم على جهد استقصائي كثيف – العديد من الأمثلة على ما ذهبت إليه، ومن ذلك العلاقة بين معهد بروكينغز للأبحاث بواشنطن، وهو أحد أكثر المعاهد البحثية المرموقة في العالم، ولينار كوربوريشن إحدى أكبر الشركات الأميركية العاملة في مجال تشييد المنازل. وذكر التقرير أن شركة لينار كانت ترغب في تصديق السلطات المختصة على تنفيذها لمشروع عقاري في سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا تبلغ تكلفته ثمانية مليارات دولار، واستخدمت معهد بروكينغز كصوت له ثقل في الدفاع عن فكرة المشروع والترويج لها، وتبرّعت لينار للمعهد بمبلغ أربعمئة ألف دولار معفاة من الضرائب، ولم ينفذ المعهد فقط حملة «بحثية» لصالح المشروع، بل ذهب أبعد من ذلك بتعيينه المدير التنفيذي المسؤول عن مشروع سان فرانسيسكو كوفي بونر في وظيفة كبير باحثين بالمعهد.

وقال التقرير الذي أعدته الصحيفة بالاشتراك مع مركز نيو إنغلاند للصحافة الاستقصائية إن مراكز الأبحاث والتي تسمي نفسها «الجامعات بدون طلاب» لديها نفوذ في نقاشات السياسات الحكومية؛ لأنها تعتبر أن لا مصالح مالية لديها بهذه السياسات؛ لكن هذه الفكرة بعيدة عن الصواب؛ لأن هذه المراكز، وفي مطارداتها للتمويل، تستعين بقدرتها على الترويج لأجندة الشركات والمانحين، وبالتالي تزيل الخط الفاصل بين مراكز الأبحاث «غير المنحازة» ومجموعات الضغط.

وأشار إلى أن معدّيه راجعوا آلاف المذكرات الداخلية والمراسلات السرية بين معهد بروكينغز ومانحين آخرين غير شركة لينار مثل «جي.بي مورغان تشيس» أكبر مصرف بالولايات المتحدة، وشركة «كي.كي.آر» العالمية للاستثمار، ومايكروسوفت وهيتاشي اليابانية. وقالت نيويورك تايمز إن الدعم المالي من هذه الجهات لبروكينغز يأتي في كثير من الأحيان بعد تأكيدات من المعهد بأنه سيقدم «فوائد التبرع» بما في ذلك التجهيز للمناسبات التي تبرز المسؤولين عن الجهة المتبرعة مع مسؤولين حكوميين.

وأضاف التقرير أن ترتيبات مماثلة تقوم بها كثير من مراكز الأبحاث في قضايا تتباين ما بين المبيعات العسكرية إلى دول أجنبية والتجارة الدولية ونظم إدارة الطرق السريعة والتطوير العقاري، حيث تتحول مراكز الأبحاث إلى وسائل لتجسيد نفوذ الجهات المانحة. ونقل عن السيناتورة الديمقراطية بولاية ماساشوسيتس إليزابيث وارين – والتي تنتقد في العادة التبرعات السرية من الشركات لمراكز الأبحاث – قولها إن هذا يحدث في الشركات العملاقة التي تعتبر أن إنفاقها بضعة عشرات من ملايين الدولارات للتأثير على صناعة القرار بواشنطن أمر يستحق؛ لأنه يعود عليها بالمليارات. وقال التقرير إن شروط المانحين بأن يحقق البحث الذي يتبرعون لتنفيذه أهدافًا محددة يهدد حيادية هذه المراكز في نقاشات السياسات في الكونغرس والبيت الأبيض ووسائل الإعلام.

ونسب إلى مسؤولي هذه المراكز نفيهم الشديد لتصويرهم على أنهم أدوات للشركات، وتأكيدهم على أن الأمر ينجم ببساطة من «توافق الأهداف بين الشركات ومراكز البحث مثل مساعدة المدن بالتنمية الاقتصادية». وأضاف التقرير أنه وبمراجعة وثائق من أكثر من عشرة معاهد ومراكز بحثية، فإن الفوائد التي تحصل عليها الشركات التي تحاول التخفي وراء سلطة مراكز الأبحاث لا يمكن إخفاؤها، موضحًا أن النتائج التي تصل إليها تقارير وأبحاث هذه المراكز يتم نقاشها مع المتبرعين قبل إكمال البحث. وقال إن مسودات الدراسات بهذه المراكز يتم إرسالها إلى المتبرعين ليوافقوا على الشكل النهائي لأي تقرير يصدر عن الدراسة أو البحث.

تبرعات مشروطة: ونسب إلى كبيرة الباحثين بمركز ستيمسون بواشنطن قولها إن مانحين محتملين ضغطوا عليها عندما حاولت جمع تبرعات لبحث حول الاستخدامات العسكرية للطائرات المسيَّرة المسلحة، مشيرة إلى أن أحدهم سألها: هل تودين القول إن الطائرات المسيرة سيئة؟ نحن لا نقوم بتمويل من أو ما يقول إن الطائرات المسيَّرة سيئة. التقرير عرض عشرات الأمثلة لتبرعات مرفقة بطلبات لأبحاث محددة من جهات محددة شهيرة ومرموقة، ونتائج توصلت إليها أبحاث بعينها تتوافق مع طلبات الجهات المانحة في شتى المجالات بما فيها الصحية. ومن الأمثلة التي تستحق الذكر شركة «جنرال أتوميكس» التي تصنع طائرات بريديتر المسيَّرة، ووجهت بانخفاض مبيعاتها بعد انخفاض وتيرة الحروب في كل من العراق وأفغانستان، ورغبتها في تغيير إدارة أوباما سياستها حتى تسمح بالبيع لدول أخرى، وقد طلبت من مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية بواشنطن مساعدتها مقابل إصدارها دراسة تقنع بها إدارة أوباما. وأعد المركز بالفعل دراسة بعنوان «العوائق السياسية للتصدير» بعيدًا عن لغة مجموعات الضغط؛ لكنها تؤدي إلى نفس النتيجة. هذا مثال واحد من أمثلة عديدة تضمنّها التقرير ليؤكد أن مراكز البحث التي تصف نفسها بـ «العلمية» و«المستقلة» و«غير المنحازة» بعيدة عن هذه الصفات التي يبدو أنها مجرد أكذوبة تم الترويج لها وانطلت على الجميع. (المصدر نيويورك تايمز)

التضليل حول أخطار الاحتباس الحراري

تظهر النشرة الأميركية النصف شهرية للتفكير (ماذر جونز) في عام 2005م، أن أكسون موبايل قد دفعت مبلغ ثمانية ملايين دولار بين عامي 2000م و2003م إلى أربعين مركزًا بحثيًا كي تظهر أن ارتفاع حرارة الكوكب هو ببساطة عملية خداع واسعة. وها هي مؤسسة المنشأة الأميركية تنشر مقالات عن المناخ في 2004م تحت عنوان (لا تخافوا، كونوا سعداء) ومجلس البدل التشريعي الغامض الذي ينشر «أن التغير المناخي يمكنه في الواقع إنقاذ حيوات». ومن جهتها مؤسسة كاتو ومركز تطوير صوت العالم ومؤسسة المنشأة الحرة تستغل رحابة أكبر شركة نفط في العالم، وتصوّب قذائفها الملتهبة على كل الدراسات التي تحاول البرهنة على ارتفاع حرارة الأرض «الاحتباس الحراري». وعلى أثر ما تقدمه مراكز الأبحاث من دراسات تطمئننا فيه حول انعدام ما يثبت مخاطر الاحتباس الحراري، سعى بوش الابن ومساعدوه في محاولات حثيثة لتقويض المساعي الدولية الآيلة إلى تقليص الأخطار التي تكتنف البيئة، والمسلمة بأنها جسيمة حقًا، فلم يوقّع على بروتوكول كيوتو؛ بذريعة أن التوقيع عليه يضر بالاقتصاد الأميركي. وهذا ما فعله الرئيس ترامب عام 2017م بخروجه من اتفاقية باريس للمناخ، فقد زعم، إبّان حملته الانتخابية، أن اتفاق باريس للتغير المناخي سيكلف الولايات المتحدة خسارة ثلاثة تريليونات دولار من إجمالي ناتجها القومي، وحوالى 6.5 مليون وظيفة في قطاعات مختلفة مثل قطاع الفحم. وأشار إلى أن إدارته ستتوقف عن دفع أموال لصندوق المناخ الأخضر، والذي تدفع له الدول الغنية مليارات الدولارات سنويًا لمساعدة الدول النامية على التعامل مع الفيضانات والجفاف والآثار الأخرى لتغير المناخ. [يتبع]

التدرج سفينة الهالكين

الأستاذ سعيد رضوان القيسي

لقد تشكّل رأي عام عالمياً على أن العلمانية فاسدة، ونظامها الدولي فاشل وعاجز عن إيجاد الحلول لمشاكل تعصف بالمجتمعات.

ومع تراجع المدّ القومي واليساري وبروز الإسلام بقوة كبديل حضاري للرأسمالية صانعة الأزمات، أجبر صاحب القرار السياسي على إيجاد صيغة لدمج الإسلاميين في العملية السياسية، لاتخاذهم مطية له، ولأخذ الشرعية من جمهورهم العريض، وإلزامهم بدستوره وتشريعاته وتقوية نظامه وتمرير سياساته.

لقد وقعت الجماعات الإسلامية في مأزق عقائدي وفقهي عندما شاركت في الحكم والتزمت بالدساتير والقوانين الوضعية، وكان المأزق أكبر عندما حصلت على الغالبية البرلمانية، وشكّلت الحكومة واستلمت رئاسة الدولة.

فكانت فكرة التدرّج للتبرير وللخروج من المأزق، ولخداع الجماهير التي أوصلتهم إلى النيابة والوزارة والرئاسة والبلدية والنقابة و.... كل ذلك حبا في الإسلام، ورجاء في تطبيقه.

لقد استدل المتدرجون بأدلة عقلية، وبحوادث تاريخية، وبليّ أعناق النصوص لتوافق هواهم.

-فما هو مفهوم التدرج؟

-وهل التدرج في التشريع أم في التطبيق، أم في سير الدعوة؟

-ما هو حكم الشرع في التدرج؟

-كيف يكون التدرج بوصولكم نهايته، وصلتم رئاسة الدولة، وشكلتم الحكومة، وأحكمتم القبضة على الجيش؟؟؟

-فهل التدرج للإرفاق بالناس، أم هو إرضاء لمن يحارب عودة الإسلام؟

-وهل يرهن تطبيق الشرع لرضاهم؟

-ومتى يرضى عدو كافر عن الإسلام؟

-ومن هي الجهة التي يرجع إليها لتحديد أي أحكام الشرع تطبق وأيها يؤجل؟

-وهل هناك مراحل محددة لتطبيق ما تم تأجيله، أم أن التأجيل لأجل غير مسمى؟

-هل يجوز تعطيل أحكام الشريعة؟

-لا يوجد فراغ تشريعي في حياة الشعوب، فهل يجوز استبدال شرع بشرع الله؟

-ما هو عذركم وأنتم تحكمون بغير ما أنزل الله؟

وماهي أدلتكم؟ وما هو وجه الاستدلال فيها؟

-هل يجوز العمل بالأحكام المنسوخة؟

هذه الأسئلة وغيرها مما يجب الإجابة عنها على ضوء الأدلة الشرعية، وخاصة مع انكشاف عوار الرأسمالية وانحدارها، وثورة الشعوب عليها مطالبة بالبديل، ومشاهدة عمائم قد شمّرت عن ساعد الجد لتشرعن الكفر وترقع له.

اسألوا التاريخ:

ماذا كان مصير المتدرجين؟؟

وما مصير أصحاب أنصاف الحلول؟؟

وكيف بدأت التنازلات وإلى أين انتهت؟؟

إنه لا ينفع العلم من لا عقل له، ولا يعلق الدر في أعناق الخنازير.

نقض الفكر الغربي وبيان فساده ومخالفته لبديهيات العقل وقواعد التفكير

(الجزء السادس)

محمود رضا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

العلوم الإنسانية والخلط بين العلم والمعرفة

قبل أن نتابع حديثنا عن علم الاجتماع وعلم التربية، لا بد من الإشارة إلى أن النظرية التحليلية بالطريقة العقلية لقضايا الإنسان والمجتمع وما يتفرع عنها من قضايا مثل المساواة والنسوية والسلوك وتربية الأطفال والإجرام والتعليم.. الى اخره.. تتداخل فيما يسمى بالعلوم الإنسانية فتجد تحليلا لسلوك الفرد تجاه الجماعة أو المجتمع تبرز فيه قضايا ما يسمى علم النفس، وتبرز فيما يسمى بعلم التربية مسائل علم النفس والاجتماع. فهناك تداخل وتشابك بين مواضيعها ونظرياتها.

قلنا في الجزء الثالث

اقتباس: الرأسمالية مبدأ فردي ينظر للمجتمع على أنه مكون من أفراد، وكل معالجاتها تقوم على النظرية الفردية الأحادية، وقلما تعير اهتماما للصفة الجماعية للمجتمع. وانطلاقا من فكرة الحريات التي تُعطى للفرد، وضعت التشريعات والمعالجات التي تبنى على التصور الفردي للمجتمع.

والخطأ الكامن في تعريف المجتمع في الفكر الرأسمالي يبرز في أنه لا يفرق بين بناء الجماعة وبناء المجتمع، فيعرف المجتمع بأنه عبارة عن مجموعة من الأفراد. وهو بذلك لا يفرق بين واقع الجماعة وواقع المجتمع ويجعلهما سواء.

والواقع أن الفرق واضح بين واقعيهما. فأي جماعة بشرية تجتمع من اقطاب شتى في طائرة او سفينة تظهر عليها الصفة الفردية الخالصة لانعدام وجود رابطة دائمية تربط بينهم اللهم الا التواجد في الطائرة او السفينة.

بعكس المجتمعات البشرية أي المستقرة، فالمجتمع هو عبارة عن مجموعة من الناس تربطهم علاقات دائمية، هدفهم القيام بعملية الإشباع للحاجات العضوية والغرائز بناء على مفاهيم وافكار ومقاييس معينة. وهذه الافكار التي يحملونها هي التي تحدد النظرة الى المصالح والى الأنظمة التي يجب ان تنظم عملية تبادل المصالح بين أفراد المجتمع. والافكار نفسها هي التي تحدد طبيعة المشاعر التي تحكم حين القيام بعملية التبادل للمصالح من حيث الرضى والغضب..

فالمجتمع في واقعه ليس كما يتصور الرأسماليون من أنه مجموعة من الأفراد، بل هو مجموعة من الناس تربطهم علاقات دائمية وافكار ومشاعر وأنظمة..

ويعتبر هذا الخطأ في تصور المجتمع أساسيا ومفصليا، حيث تجد أثره في كل باقي نظريات علم الاجتماع المنثورة في الكتب والمؤلفات. وذلك للتالي:

النظرية الفردية تقوم على البحث في سلوك حسن وعثمان وقيس و... فتنظر في مميزات كل فرد وما يختلف به عن الآخرين، فتعتبره حالة قائمة لوحدها بما يظهر منه من مظاهر او سلوك لاشباع حاجاته العضوية وغرائزه.. فتغرق في التفصيل والتمييز بين الافراد، بينما لو كانت النظرة إنسانية خالصة لتم التركيز على وجود حاجات عضوية وغرائز تحتاج الى تنظيم إشباع، وهي في الإنسان واحدة لا تتغير فيتم اعطاء المعالجة للسلوك باعتبارها حالة انسانية وليست حالة فردية مميزة، وتكون النظرة للمجتمع من حيث الأفكار والمشاعر والانظمة التي تحتاج الى تغيير باحداث نهضة تشمل الإنسان وسلوكه وتنظم علاقاته الدائمية مع غيره التي تنشأ حين السير في طريق الاشباع للحاجات العضوية والغرائز.

فالنظرة الفردية لا تنظر لما يجب ان يكون عليه المجتمع، بل تنطلق من زاوية الفرد وتضع معالجات خاصة لإفراد دون أفراد، ولهذا تجد من مقتضيات النظرية الفردية للمجتمع أنهم يعتبرون المجتمعات مختلفة، وأن ما يصلح لمجتمع لا يصلح لمجتمع آخر، مع ان الموضوع هو وجود افكار نهضة توحد النظرة الى المصلحة من حيث مشاعر الرضا والغضب، وتوحّد النظام الذي يجري على اساسه اشباع المصلحة..

وسنعرض هنا بعض النظريات في علم الاجتماع بشكل موجز لنبين واقعها

نظرية الصراع الاجتماعي: لعل كثيرا من النظريات الموضوعة فيما يسمى العلوم الإنسانية نظريات مستقاة من الفكر الشيوعي ومنها هذه النظرية المستندة الى فكرة الصراع بين الطبقتين الغنية والفقيرة، والتي ترى في كل اشكال التوظيف والايجار نوعا من العبودية والاستكانة للطبقة الغنية، وترى النظرية وجوب كفاح الطبقة العاملة ضد الطبقة البرجوازية لتحقيق نوع من الملكية الجماعية. ونقض هذه النظرية وان كانت متضمنة في ما يسمى علم الاجتماع انما يكون في نقض أسس الفلسفة الماركسية وليس في نقض الفكر الرأسمالي.. ولكن المشكلة تكمن في قابلية الفكر الرأسمالي لأخذ كثير من الافكار والنظريات التي تتعارض وأسسه الفكرية، وهذا يبرز فيما يسمى العلوم الإنسانية بشكل واضح.

النظرية النسوية: هي ردة فعل على جذور النظرة الدونية التي كانت المرأة تتعرض لها في المجتمع الغربي، وفي الفكر الرأسمالي القائم على فكرة الحريات، والتي نقضنا اسسها في سلسلة «الديمقراطية بين حكم الشرع والعقل»، والتي تنطلق من قيم الحريات، وتؤسس لحالة الصراع في المجتمع مع مجتمع ما سمّوه «الذكورة» لتحصيل حقوق للنساء تتساوى بها مع الرجال، ويصبح الجندر اي وحدة الجنس البشري وتساويه في الحقوق والواجبات هو الأساس لتسيير المجتمع ولتنظيم العلاقة بين الذكور والاناث.

وخطأ هذه النظرية يكمن في أنها ردة الفعل على واقع فاسد في المجتمعات فتوضع نظريات تتعارض مع الطبيعة التي يتميز بها الرجال والنساء، وأن العلاقة بينهما تحتاج الى تنظيم للحقوق والواجبات يأخذ بالحسبان الاختلاف النفسي والفسيولوجي بين الرجل والمرأة. وأن الغاء الفروق الطبيعية والوظيفية بين الرجل والمرأة امر مستحيل عقلا، ومدمر للمجتمع والأسرة والأطفال. وأن إخراج المرأة للعمل باعتبار الوظيفة أهم من الأمومة والتربية والأسرة يقود الى تشريد وتدمير الأجيال نفسيا وتدمير الأساس الآمن لنمو الاطفال ولرعايتهم، ويمهد لمزيد من الاجرام والأمراض النفسية في المجتمع. ويجعل العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة منافسة ومنافرة وليست علاقة تعاون وتالف وتوزيع أدوار...

ويجب ان يعرف أن خروج المرأة للعمل في اوروبا لم يكن ابتداءً نتيجة طبيعية او ا ً ازا فكريا في المجتمع، بل كان نتيجة فقدان الملايين من الرجال المعيلين لأسرهم في الحربين العالميتين الأولى والثانية، فوجدت المرأة نفسها دون معيل، فخرجت تبحث عن العمل، ثم بدأت المشاكل نتيجة هذا الخروج ونتجة النظرية الدونية التي كانت في الغرب تجاه المرأة، فتولدت النظرية النسوية، وانتشرت الحركات النسوية.. والتي تجعل النظرة للمجتمع نظرة ذكورة وأنوثة، وليس نظرة إنسانية إلى طبيعيتين مختلفتين لهما ادوار مختلفة وواجبات متباينة، وأن القضية ليست قضية مساواة او عدم مساواة.. فالمساواة علاوة على أنها خيالية وغير ممكنة، إلا أنها تتجاهل الطبيعية البشرية، فالمرأة لا تتحمل الشقاء والتعب والإجهاد، خاصة مع ما لها من خاصيّات فيزيولوجية من حمل والولادة وغيرها، وخروجها للعمل يجعل الأولاد دون راعٍ عاطفي يهتم بهم ويمدهم بالحب والحنان، فيولد جيل من الأبناء ميّتي العاطفة تجاه والديهم، وينتظرون أول فرصة للخروج من كنفهم ليعيشوا حياتهم بعيدا عن الوالدين، بل ولا يشعرون بالحرج من رمي الوالدين في ملاجئ العجزة عند عجزهم.

وهناك مجموعة نظريات في علم الاجتماع من مثل:

نظرية الاختيار العقلي، ونظرية التبادل الاجتماعي، ونظرية الضغوط الهيكلية، ونظرية التعلم الاجتماعي، والنظرية النقدية، النظرية الرمزية...

ولا بد حين دراسة هذه النظريات من التأكيد على ان النظرة التحليلية ليست علما بالمعنى الحديث، أي أن النظر والبحث في الجزئيات والكليات، والتطبيقات والسلوك يتوقف على وجهة النظر في الحياة، وعلى اختلاف في التقديرات البشرية والتأويلات.. وبالتالي لا بد من التمييز بين وصف السلوك البشري وتاويل ذلك السلوك، والحذر من دس المفاهيم المغلوطة أثناء العملية التحليلية.. ومن ذلك مثلا..

تصوير الشذوذ الجنسي بأنه طبيعي، قياسا على سلوك بعض الحيوانات، ومحاولة تاويل هذا السلوك باغتصاب علم الجينات والعلوم الطبيعية، لتخريج هذا الشذوذ وجعله أمرا مقبولا، مما يقتضي أن يتم نشر مفاهيم تعكس وجهة النظر في الحياة في طيات ما يسمى «علم الاجتماع» تحت مسمى العلم، مع أن تصور الشذوذ طبيعيا هو معرفة. ويتوقف على مفاهيم الإنسان والمعلومات السابقة هي الحكم في نتيجة العملية العقلية التي تجري للحكم على واقع هذا الشذوذ الجنسي.. ولا بد من الإشارة إلى انه لا يوجد اي دليل علمي يثبت ان الشذوذ الجنسي امر تتحكم فيه الجينات، بل هو نتاج مفاهيم مريضة ناتجة عن عقيدة فاسدة عن الكون والإنسان والحياة..

أما بالنسبة لما يسمى علم التربية فهو يستقي نظريات من علم النفس ويتاثر بنظريات علم الاجتماع، وفيه أيضا ملاحظة لسلوك الأفراد والاطفال واحوالهم واختياراتهم وميولهم، فترى في هذا المجال اختلاطا لأمور فيها الصحيح والسقيم، فما بني مثلا على قابلية الادمغة لتعلم أمور دون أخرى مستقاة من علم النفس فهو فاسد لفساد الاصل المبني عليه، ومن ذلك تقسم المدارس الى علمي وادبي وتجاري، وأما ما بني على ملاحظة أحوال الأطفال او التلاميذ من حيث التركيز الذهني والمتابعة للمعلم، والتعب والراحة، كأن يلاحظ أن التلميذ بعد ساعة مثلا من التركيز يضعف تركيزه فيحتاج الى استراحة قصيرة، او ملاحظة أن الشرح لفكرة باسهاب إن لم يتخلله تغيير في سير الشرح سينقطع فيه حبل الافكار لدى التلميذ او الطفل فيعمد المعلم لتغيير نبرة الصوت، او الايماء بشكل مثير، او طرح استفسار بحيث يشحن التلاميذ فيركزوا في الشرح.. مثل هذه الملاحظات صحيحة ويمكن الأخذ بها، بخلاف التقسيم الاعتباطي للسنة إلى عدة فصول، ووضع عطل طويلة الأمد لأشهر طويلة، ومثل أسلوب الاختبارات المدرسية القائم على مجرد الاستظهار للمعلومة. وكذلك تجريد العلوم الطبيعية من الناحية التجريبية والإكثار من الحفظ دون الربط بالناحية العملية. فكل ذلك فاسد لا يؤخذ به.

وفي النهاية لا بد من إعادة ترتيب الأفكار التي تعرضت لها مثل هذه العلوم المزعومة، وبيان فاسدها وصالحها بناء على الطريقة العقلية، ولا بد من أن تكون المعارف مثل «الفيزياء والكيميا..» مبنية أو منبثقة عن العقيدة الإسلامية بحسب واقعها، فما كان فيه جوابا مباشرا من الشرع كانت تلك المعرفة مستقاة منه ككون الشذوذ الجنسي مثلا أمر محتقر موجب للعقوبة ويقع في الدائرة التي يسيطر عليها الإنسان، وما لم يكن جوابه منبثقا مباشرة عن العقيدة الإسلامية ومن الإسلام فيكون النظر فيه مبنيا على هذه العقيدة كبحث الغرائز والحاجات العضوية، وتعريف المجتمع والسلوك والعقل، وواقع النهضة...

وبالنسبة لنا نحن المسلمون فإننا ً بعل العقيدة الإسلامية أساسا نبني عليه مثل هذه المباحث ونبين صحيحها وسقيمها بالنظرة المستنيرة.

ونكون هنا قد انتهينا من بيان واقع ما يسمى العلوم الإنسانية والخلط المتعمد بين العلوم والمعرفة، وبين الطريقة العلمية والطريقة العقلية.

وسنتكلم في جزء قادم إن شاء الله عن فساد النظام الاقتصادي الرأسمالي وما بني على هذا الفساد من نتائج في المجتمع.

المدير المسؤول
منصف المقدم

رئيس التحرير
حسن نوير

www.attahrir.info

المقر الاجتماعي
17 نهج باب الخضراء - تونس

التلفون: 71345949
الفاكس: 71345950
press@attahrir.info